روايات مصرية للجيب

6

أحمد فكري

ميتا فيزيقا

دونفيجان

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (ميتافيزيقا)

كلمه مهمة: هذا العمل (تحويل سلسلة ميتافيزيقا للكاتب أحمد فكري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة ميتافيزيقا
تتجاوز حدود الطبيعة
أو ما وراء الطبيعة
العدد رقم (06)

دونفيجان

تأليف: أحمد فكري

مقدمة..

مصطلح يعنى الأشياء التي لا تخضع لقوانين الطبيعة، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا، بأنها الأشياء التي تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة.. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا: ما وراء أو بعد) و(φυσικά) وتعنى (فيزكا: مادي أو طبيعي).

أحمد فكري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تمهيد..

صهيل الخيل يدوى فى الأفق يتبعه صوت أحدهم يصرخ « أن أمسكوه ».. العاصفة تعوى وتمزق الأشجار وتطيح بأغصانها وتكاد تقتلعها من جذورها، والأمطار تنهمر بقسوة على الموجودات وتغرق الأرض بالكامل، يشد ميلجرو لجام فرسه أكثر وهو يصرخ ويكاد يبكى كالأطفال لقد انكشف أمره.. لقد علموا وسيقتلونه. هكذا خمن، وهكذا سيفعلون..

أنفه الأحمر وشعره البنى الذى انسكب على مقدمة رأسه فى غير حول منه ولا قوة بفعل الأمطار يذكرك بأبطال القصص الكرتونية، لكن ملابسه وهندامه ينمان عن مزارع أو راع للغنم أو حطاب من الحطابين، حتى الفرس الذى كان يمتطيه كان هزيل الجسد، أغرقه المطر فجعله يتعثر أكثر مما هو عليه من تعثر من الوهلة الأولى. تدرك أن كليهما قد عفى عليه الزمان، يلتفت الرجل إلى الخلف فيستمع إليهم أن خيولهم تقترب أكثر، يسمع حوافر خيلهم تدق الأرض دقًّا، تضربها بكل ما أوتيت من قوى، تدنو منه أكثر.. لا مفر.. سوف يلحقون به.. سيهشمون عظامه تهشيمًا كما يفعل الهاون فى عظام الجماجم لتتحول إلى بودرة يستنشقها السحرة.. أو ربما يلقونه من فوق أحد الجبال المترامية فيلقى حتفه أو ينفونه فيموت كالكلاب بلا مأكل أو مشرب أو ربما يحرقونه فى المحرقة وسط الكثير من القوم ليكون عبرة لهم جميعًا.. فكيف له وهو ابن « برناوا » ذلك الحطاب الثمل دائمًا أن يفعل هذا؟!.. أن يتجرأ و.. تشووووو!!

يسمع السهم وهو يفر من داخل قوس أحدهم ليستقر بين عضلات كتفه، يتألم من الوجع الرهيب، ويترك اللجام. يتعثر الفرس بدوره من سهم آخر ينطلق ليستقر فى فخذه فيطلق صهيلًا متقطعًا ويسقط على ركبتيه ليسقط فوق الفارس داعسًا قدميه.. يصرخ الفارس ألمًا وينهض متحاملًا، ويبدأ رحلة من الركض البائس على قدم واحدة وسط غابة من الأشجار والأغصان الممتدة لتسد الطريق. الأشجار من حوله تحولت إلى أشباح ترقص وسط الضباب..

الأصوات تقترب أكثر، وصوتهم يدنو أكثر، ثم يتعثر مرة أخرى، ويسقط إلى منحدر يدور حول نفسه ثم بووووووم.. يرتطم بالأرض.

« ها هو! »

يسمعها ويحاول أن يتحامل على نفسه، لكنه يغيب عن الوعى رغمًا عنه.

وتبدأ الومضات..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الومضة الأولى

هناك وسط الضباب.. وسط أشجار الصنوبر المحيطة ببحيرة نس الهادئة يجلس هو داخل الكوخ البسيط يسن سكينه تأهبًا لحز عنق ذلك الأرنب.. منذ زمن ولى لم يذق طعم اللحم، شهرين كاملين يأكل الرنجة التى يصطادها من البحيرة القريبة منه، ينهض ويمسك عنق الأرنب الذى اصطاده من أعلى التل وقبل أن ...

تاك تاك تاك تاك

يدق الباب، يدع الأرنب يلتقط أنفاسه ويقفز قفزتين فارًّا بلحمه بعيدًا عنه ويفتح الباب..

إنها هى بثوبها الأبيض الجدير بالأميرات، بيضاء ذات أنف صغير وشفتين كالكريز وشعر أصفر كالحرير. تنسل إلى الداخل وتغلق الباب خلفها بخفة، وتدلف إلى أحضانه.

- هل رآك أحدهم؟.. ثم ... كيف أتيت؟

يقولها هو متسائلًا بعد أن يهم بفتح الباب، ويطل منه برأسه كالسلحفاة من درقتها كى يتأكد من أن أحدًا لم يتبعها، ثم يغلقه سريعًا، ويتوجه إليها وفى عينيه نظرة حب واشتهاء.. ثم يقف، ويضيف:

ألا تخافين أن يعرفوا؟

تبتسم هى ثم تدنو منه وتضيف بعد أن قيدت رقبته بكفيها:

- أتخشاهم؟

قالتها وانتظرت الرد، لكنه لم يأت فقط التفت هو وأمسك بأذنى الأرنب، ووضع رأسه على المنضدة، وهوى على عنقه بالسكين الكبيرة ليفصله عن جسده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1

- لا يختلف نمـط المعيشـة فى أسكتلنـدا كثيـرًا عـن النمـط السائـد فـى المجتمعات الصناعية فى المملكة المتحدة، نحن هنا نعمل نهارًا ونقضى الليل فى الحانات ومشاهدة البرامج التلفزيونية التى تبثها هيئة الإذاعة البريطانية. وثلاث شركات مستقلة أخرى تنافسها.

قالها (فرايزر) بصوته الغليظ وشعره المجعد وإنجليزيته الممتازة ثم أضاف:

- سوف تستمتع بحق هنا يا إبرا!.

قالها مختصرًا اسمى فنظرت له فى ود وأضفت:

- أنا لا أحب جو الحانات هذا يا (فرايزر) إن سمحت. خاصة بعد ذلك الحادث المروع، فلنقضى سهرتنا بالخارج، أنا لم آتى لكم قاطعًا كل تلك المسافة من مصر إلى هنا كى أرتكب الفواحش وأنا بحق ليس عندى أى استعداد لدخول جهنم بسببك.

لم يعلق على دعابتى، فقط وضع كأسه الفارغة على المنضدة بضيق ثم صفع المنضدة بيديه الغليظتين وصرخ مناديًا على الساقى (ذلك الرجل لن تعرف حقًّا إن كان يشعر بحنق تجاهك أم أن هذه هى تصرفاته الطبيعية) أتى الساقى فناوله بضعة جنيهات إسترلينية، وهب ناهضًا معلنًا لى أن وقت المغادرة قد حان.

فى تلك اللحظات دلف إلى الحانة ذلك الفتى العصبى جون الذى بدا لى منذ الوهلة الأولى يمقتنى. نظرت إلى فرايزر ونبهته لوجوده، لكنه لم يعره اهتمامًا، وأضاف:

- اتركه وشأنه. ولنخرج نحن من هنا.

خرجنا مـن الحانـة الصاخبـة، إلـى الطريـق الزلـق بفعـل الأمطـار، تثاءبت واضعًا يدى على فاهى، فأضاف هو والبخار يتصاعد من فمه:

- لقد حان وقت نومك كما هو جلى لى؟

نظرت إليه بعين دامعة، واضفت بأسنان تصطك ببعضها البعض من فرط البرودة:

- أعتقد هذا، إن لم يكن جو بلدك هذه يساعد على النوم فى كل حين. البرد هنا قارص بالفعل يا فرايزر.. والنهار قصير.

سوف نعود الآن الى الفندق، قد مر مر يومين حتى الان ولم يحدث شيئًا أيها الرجل لابد وأنكم تختلقون تلك القصص.

- وموت هيلين ليس شيئًا أيها الرجل؟

قالها ثم ضربنى بيديه على كتفى ضربة أسقطت قلبى فى قدمى، وأخذ يقهقه كأننى قلت له مزحة، ثم أضاف ضاحكًا:

- يكفى أنك تحيا الآَن فى أدنبرة أيها الوغد.. غدًا سوف يكون حافلًا، فسوف نذهب إلى الطرف الجنوبى من المدينة القديمة بأدنبرة.حيث شارع تشامبرز.. هنالك ستجد الكثير من المعالم التى تستطيع تصويرها بكاميرتك تلك، ثم ترفعها على فيس بوك. سوف ترى الكثير من المتاحف.. وكذا سترى الكلية القديمة.

- حسنًا يا فرايزر أنا لا أريد التجوال، لقد تجولت بما يكفى اليوم وأعتقد أن موعد النوم قد حان.

- أتنام باكرًا هكذا يا رجل؟

- نعم أفعل.

قلتها ثم أشرت مضيفًا:

- أنا لا أحفظ أسماء الشوارع، قلتها بعد أن وصلنا إلى حيث الفندق الذى نزلنا فيه، وأضفت:

- لو تركتنى وحدى لفقدتمونى، صدقنى أن أسكتلندا بها 548878787 قلعة، كلها تشبه بعضها البعض حتى الشوارع واحدة، حتى المقابر. صفعنى على ظهرى وسبنى وهو يقهقه. مهذب هو فرايزر حقًّا أخلاقه تنم عن تربية لا بأس بها أبدًا. ثم دلفنا إلى الفندق حييت المدير الذى كان جالسًا يشاهد التلفاز ويرشف من كوب ساخن، ويرتدى معطفًا ثقيلًا جدًّا باهظ الثمن، دنوت من موظفة الاستقبال الرفيعة الودود كوديا سلفادور، لكنها للحق رائعة الجمال، نظرت إلى فرايز، فوجدته ينظر لها بسماجة، دون أن يحرك ساكنًا، صحيح فهو يحيا فى بلد كل فتاياتها يضيئون كالشموس، فكيف سيلقى لهذه بالًا.

ابتسمت فى مجاملة، فابتسمت بدورها، وناولتنى مفتاح الغرفة الخاص بنا، وهزت رأسها مرة أخرى بذات الود. هززت رأسى مبادلًا إياها التحية، ثم صعدنا إلى الغرفة.

ونحن على الدرج انفتح باب الغرفة الخاصة بالبروفيسور، وخرج منه وقد اشتد غضبًا، وأضاف صارخًا:

- أين كنتما؟ لقد حدثت كارثة؟!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الومضة الثانية

يقبل ملجرو كف ايرينا ثم ينهض مرتديًا عباءته وجالسًا على طرف الفراش المغطى أكثره بجلد الأغنام ثم يسرح فى الأفق لثوان.. تنهض هى وتقيد رقبته من الخلف وتقبله فى أذنيه وتضيف:

- أعلم أن الوضع لا يروق لك، لكن ما بالأيدى حيلة.. أى ملجرو.. سوف يأتى اليوم الذى نغادر فيه القرية بأكملها ونهرب سويًّا إلى حيث لا يوجد أبى وأخواى.. حيث لا قصر ولا شىء.. هناااك خلف الأراضى الواسعة خلف السهول والوديان البعيدة.

حرر بيديه يديها عن عنقه، ونهض غير ملتفتًا لها، وأضاف:

- لن يحدث هذا إيرى.. لقد جئت إلى هنا فارًّا. ولن أفر ثانية. إحساسى لم يخطئ أبدًا من قبل. إن لم يكن من أباك وإخوتك فسوف تكون الحرب أكبر عائق أمامنا.. سوف يعرفون ووقتها سيمزقوننى.أنت تعلمين هذا وتفقهينه جيدًا، لكنك تهونين على إيرى.. تهونين على.

فرغ من كلماته، فنهضت هى بدورها ثم وقفت أمامه تمامًا وأخذت تنظر إلى عينيه مباشرة، وأضافت:

- أنا أحبك.

قالتها ثم احتضنته بعنف، وشوق، و ....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

فى منتصف الليل تمامًا نهضت على صوت صهيل الخيل، دقيقة أو دقيقتين حتى علمت أين أنا، وكيف أتيت إلى مكانى هذا، ثم نهضت مغادرًا الفراش متجهًا إلى النافذة التى كانت مفتوحة عن آخرها والستائر أخذت تتموج بفعل الرياح الشديدة، نظرت خلالها، على الرغم من الجو شديد البرودة والأمطار التى لم تبال بالبنى آدميين الذين يعيشون فى اسكتلندا إلا أن هذا هو الجو الذى أعشقه بالفعل حتى الفندق ذاته الذى نزلت فيه يقع على بضع خطوات من قلعة أدنبرة وحدائق شارع ويست برينسيز الخلابة.

شرعت أغلق زجاج النافذة، نظرت إلى فراش فرايز فلم أجده، متى غادره هذا اللعين، حين سمعت تلك الصرخة الشنيعة التى تفزع الموتى الذين يرقدون فى توابيت مقابر أدنبرة، ثم سمعت حوافر فرس تدق الأرض دقًّا، تشتت تركيزى ما بين النظر لمشاهدة الفرس الذى سمعت صوت حوافره وبين الهبوط لمعرفة مصدر الصرخة، لكنى وبنظرة خاطفة أو كما يقال بالبقعة العمياء فى عينى لمحت ظلال الفرس وهو يغادر المكان متجهًا نحو التلال المتشحة بستائر الليل.

هرعت بمنامتى إلى أسفل حيث البهو الرئيسى أو اللوبى، وكان الهول ذاته..

حقيقة كان المشهد لا ينسى، كان الجميع حتى فرايزر، والبروفيسور، يقفون يحدقون فى المشهد الذى لم ينس أبدًا.كانت الفتاة كوديا غارقة فى دمائها على الأرض وسط اللوبى ووسط حشد لا بأس به من جروبنا، ومن النزلاء والفضوليين.

أما صاحب الفندق فكان فى حال يرثى لها تمامًا، فقد جثا على الأرض وأخذ ينتحب.. ويمسك بيد الفتاة، ويقبلها.

صاح البروفيسور فى غباء:

- لقد ماتت الفتاة.

فتبعه ردًّا أغبى من فرايزر:

- نعم لقد ماتت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الومضة الثالثة

إن أكتافهم تحطم الباب الواهن، يبحث هو عن مهرب، ويفر من فتحة خلفية صنعها فى الكوخ، يدس نفسه فيها يشتبك معطفه بالخوص فيمزق لحمه، لكنه لا يبالى، يمتطى الجواد الهزيل، ثم يفر به مبتعدًا.. يسمعون هم صوته وهو يبتعد!

يمتطون أحصنتهم ممتلئة الجسد، ويهرعون خلفه، بكل ما أوتوا من قوة وسرعة..

ثم يحدث ما حدث ويفقد وعيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

- فرايزر لن أموت هنا.

هكذا قلتها لفرايزر الذى هز رأسه بغباء ولم يجب.. ففهمت أنه يعلم أن أعصابى لم تعد تتحمل، فعاودت الكلام:

- أنا أريد الرحيل، لن أنتظر فصل رأسى عن جسدى، لن أموت هنا.

- والبروفسير؟

- ليحترق حيًّا.

قلتها له بعصبية، ففهم على الفور أن مزاجى لا يصلح للنقاش. صحيح أننى هادئ بطبعى، لكن ما حدث لى وما سمعته فى يومين جعل أعصابى متوترة إلى أقصى درجة.

ما هذا تقولون إننى لم أحك لكم ما حدث منذ البداية ليكن انصتوا جميعًا وسامحونى على هذا السهو.. فكلنا يسهو.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول

إن الناس فيما يعشقون مذاهب ويعشقون من ينصب عليهم ويوقعهم فى شركه.. هذا جميل.

هكذا قال الرجل الذى لا أعلم من هو منذ بدء الخليقة، لكننى أردد ما قاله لأنه صحيح، ربما كان شاعرًا أو عالمًا أو داعيًا أو نصابًا، لكن شعره يبقى هو النص الذى استشهد به دائمًا فى حديثى.

كان لى قصة حدثت منذ زمن مع أحد النصابين الطاعنين فى السن، ترى الرجل منذ الوهلة الأولى فتدرك من نظراته الخبيثة المتوترة أنه نصاب لا محالة، لكننى كما قلت مثل الناس فهذا رجل جعل لى من البحر (طحينة) كما يقولون خمسة عشر ألف جنيه وسوف تكون بين قائمة أعضاء النيابة العامة هذا العام.. بالطبع انتظرت ولم يحدث شيئًا كالعادة، حجج حجج ثم مماطلة ثم مماطلة ثم ذهب الرجل بلا رجعة كأى نصاب يحترم نفسه، وذهب معه المال.

بالطبع لو كان والدى على قيد الحياة لكنت هناك بطبيعة الحال، لكنه كان قد ذهب على كل حال. رحمه الله.

ولأننى لا أحترم نفسى، فقد تم النصب على للمرة المائة فى تاريخ حياتى.. كيف سأقص لكم كل شىء فى يوم ما.

أما اليوم فموعدنا مع قصة صحيح أن هذه المرة تختلف.. بل تختلف كثيرًا جدًّا عما سبق.. فهى تجربة مرعبة بشتى الصور مرعبة إلى حد لا يوصف بالمرة.

هلموا إلى الفيس بوك فسوف أحكى لكم كل شىء منذ البداية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفيس بوك يالا هذا العالم الساحر.. إنه العالم بين يديك. كيف تعرفت عليه؟ من سعيد صديقى مدرس اللغة العربية أنتم تعرفونه، علمت منه أن هناك ذلك الساحر فمن الممكن أن ينصب على من خلاله، ولا داعى للسفر و(المشورة) كما يقول.

وهكذا ابتعت جهازًا لا بأس به وبدأت فى عمل حساب شخصى لى، وبالفعل صار الزمن بالنسبة لى يمر بسرعة رهيبة ودون ملل.

الكثير من الجروبات.. الكثير من الأصدقاء المهتمين بكل شىء تهتم به. ذات الميول.. ذات الآراء.

بكل تأكيد لم أعد وحدى.. صار سعيد معى الأربع وعشرون ساعة.. هيثم السلحدار صار يرسل لى ما يكتبه على الماسنجر..

الدكتور عبد الحميد ذاته صار ينشر صور أبحاثه وغير ذلك على صفحته الشخصية وأتابعها أولاً بأول.

وصار الجميع ينتظر اللايكات.

بالطبع بالنسبة لى بحثت عن الصفحات جميع الصفحات التى تهتم بالخوارق والظواهر الفورتية وأى شىء يهتم بـ ما وراء الطبيعة.. أى جروب أو أى صفحة أدس نفسى داخلها.

وبدأت أرى الكثير.

هناك عبدة شيطان بالفعل هنالك ممارسات للسحر الأسود، بالطبع لن أذكر إياها حتى لا يضر ذلك أحدًا منكم فلتكتشفوا بنفسكم تلك الصفحات اللعينة، لكنها وبحق تثير الجنون والشغف أكثر وتقتل الملل.

بمواصلة البحث عثرت على جروب مغلق على أعضائه فحسب، يدعى عوالم أخرى.

للحق أعجبنى الاسم فطلبت الانضمام، كان ذلك الجروب يهتم بالظواهر والعوالم الما ورائية والميتافيزيقية. علمت أن هذا هو مقصدى.

للحق لم أنتظر طويلًا. بل لم أنتظر بالمرة، بمجرد أن طلبت الانضمام تم القبول، وكأنهم يجلسون فى انتظارى.

دقيقة وظهرت الرسالة.

(جروب عوالم أخرى لحل لغز الألغاز، وسر الأسرار.. إنه المرآة التى تقودك للعالم الآخر، عالم الرعب والغرائب. عالم الأساطير الشعبية التى ولى زمنها، لكنها تحيا فى ألسنة العجائز!)

هذه رسالة إدارية لا شك فيها.

هكـذا قلت. أرسلت لهــم رغبتـى فـى الانضمــام، وجميع اهتمامـاتـى بالميتافيزيقا.

فجاءتنى رسالة أخرى. وصلتنى وكانت ما أنتظرها.

(السيد العضو نرحب جميعًا بك ونود أن نخبرك أننا نرحب بانضمامك الينا فى أسرع وقت إن كان لديك الموهبة أو الرغبة أو الفضول. فقط أعرب لنا عن

رغبتك فى الانضمام وسوف نفعل لأجلك كل شىء، سوف تجوب العالم معنا، سوف تتعرف على العالم وتكتشفه معنا، معنا سوف تعبر إلى داخل المرآة)

بالطبع أبهرتنى الكلمات وطريقة اختيار الكلمات تلك التى تثير شغفك إن كنت مثلى مهتمًّا بتلك الظواهر. لذا ودون تردد أرسلت لهم رسالة أوضح فيها أننى بالفعل مهتم وأرغب فى الانضمام.

وجاءنى الرد.

- نحن نرحب بك معنا سوف نرسل لك طلبًا عن رغبتك فى الالتحاق، يجب أن تملأه ومن ثم أعد إرساله إلينا موقعًا منك.

ثوان ووصلنى طلب الالتحاق على الإيميل الخاص بى.. قرأته ووقعته، ومن ثم أعدت إرساله مرة أخرى بواسطة مجدى فتلة الشهير بـ(الجينياس)، صاحب محال الإنترنت الذى يقبع فى الشارع الخلفى خلف منزلى تمامًا.

وكان الموعد الأول فى لندن مع الدكتور هابلر جيف.

وأرسلوا لى التأشيرة فى وقت قياسى وهذا فى حد ذاته كان أمرًا غاية فى الغرابة!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثانى

لندن

تحديدًا مطار هيثرو

جلست منتظرًا الرجل فى ساحة الانتظار بالمطار. أبهرنى الرجل منذ الوهلة الأولى سنه الكبير ولياقته العالية التى لا تتناسب مع سنه البتة.

متوسط الطول.. شعر قصير أشقر، لحية متوسطة الطول شقراء بدورها. يرتدى تى شيرت أصفر باهت و بنطال قصير نوعًا، وحذاء مطاط أبيض خفيف.

لكن ذلك كله تشعر أنه قد خلق له، أشياء لا تتناسق مع بعضها البعض، لكنها متناسقة رغمًا عن أنفها لأنها على أجنبى.رزانته وخبرته جعلت حديثه سلسًا أتقبله وأفصح له عما بداخلى سريعا، وقد كان اللقاء ممتعًا.

أخبرنى أنهم مجموعة من الباحثين من أنحاء العالم.. عددنا عشرة.

كانوا ينتظرون اكتمال العدد لبدء النشاط والبحث، وكان اختيار نقطة الانطلاق فى لندن بطبيعة الحال حيث إنه هو مخترع الفكرة بأكملها.

أخبرنى أن الجروب هدفه البحث فى بلد كل عضو من أعضائه عن تراثه الميتافيزيقى الظواهر الما ورائية فيها.. عن تراثها القديم المنسى من الأساطير المرعبة التى ترددت على ألسنة أهلها قديمًا و حديثًا. كما أخبرنى أن الفكرة قد تبناها عدد من الرعاة المعروفين جدًّا. وسوف ينفقون على ذلك المشروع البحثى من الألف إلى الياء، وسوف يتم توثيق الأحداث بالكامل، بأحدث الكاميرات الخفيفة المحمولة.

بعد ذلك اللقاء الودى الخفيف، بكافيتريا المطار انتقلنا سويًّا من المطار الدولى والذى يقع غرب العاصمة البريطانية، ويبعد عن وسط لندن عشرين كيلومترًا تقريبًا.

عربية فارهة أقلتنا، إلى فيلا فارهة مثلها، بالطبع خمنت أنها فيلا البروفيسور.

فى البهو جلس رجل بدا لى من ضيق عينيه أنه قادم من بلاد آسيا، لكن سمارة نفى ذلك.

رآنا فانتفض واقفًا، واتجه إلينا وصافح كلانا بحرارة، وبإنجليزية جيدة قدم لى نفسه، بيسايا لوزون من الفلبين.

نظر لى البروفيسور وقال:

- بيسايا أحد أفراد الجروب. أتى أمس من الفلبين، أنت تعلم أن الفلبين مليئة بالكثير من المناطق المرعبة والغريبة.

- والرائعة كذلك.

قالها بيسايا، مقاطعًا البروفيسور ثم أضاف وهو يبدل نظراته إلى كلانا ثم أمطرنا بمعلومات جغرافية كأنه أحسن مدرس جغرافيا بالفلبين:

- أن الفلبين عبارة عن أرخبيل من 7107 جزيرة، تغطى معظم الجزر الجبلية غابات استوائية مطيرة وهى بركانية فى الأصل، وأعلاها جبل آبو الذى يصل لارتفاع 2954 م (9692 قدم تقريبًا) فوق مستوى سطح البحر ويقع فى جزيرة ميندناو. أطول نهر هو نهر كاجايان فى لوزون الشمالية. خليج مانيلا متصل بلاجونا دى باى، أكبر بحيرة فى الفيلبين، عبر نهر باسيج. من الخلجان الهامة خليج سوبيك، وخليج دافاو، وخليج مورو وغيرها. يفصل مضيق سان خوانيكو جزيرتى سامار وليت ولكن فوقه جسر سان خوانيكو.

نظر إليه البروفيسور هابلر جيف وفى فاهه ابتسامة تدل على الضيق، ثم أضاف:

- اعتقد يامسيو بيسايا ان نرجئ ذلك الحديث حتى يجتمع الجروب بأكمله وكل منا سوف يسرد لنا معلومات عن بلاده كما يحب.

ابتسم بيسايا مبادلا البروفيسور ثم انصرف محييًا إيانا هازًا رأسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى غرفة مكتب البروفيسور جيف جلست منبهرًا كالعادة بكل شىء حيث وجدت نفسى بين الكثير من الكتب والمراجع، والتحف والمخطوطات والبرديات الفرعونية، حجرته ذكرتنى بحجرة الدكتور عبد الحميد جارى.

دعانى الرجل للجلوس وأخذنا نتحدث عن كل شىء ونرشف القهوة، حتى جاءت خادمة اقتادتنى إلى إحدى الغرف العلوية، وكان الجميع فى انتظار الموعد الأول للقاء أعضاء الجروب بأثره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متى بدأ كل شيء
خارج قلعة ستيرلينغ – أسكتلندا

ليلة يوم 23 يونيو 1314

العاصفة تعوى والأمطار تنهمر.

تقف الفرسان متشحة بالسواد مرتدية الكثير من الدروع المعدنية، صهيل الخيل يدوى فيمتزج بصوت الرعد فينتج صوتًا أكثر رعبًا يدب الهلع فى نفوس أكثر الفرسان شجاعة. خارج القلعة الضخمة يلتفون حول سورها فى حصار دام الكثير

يقف هو بينهم يرتدى ملابسه مثلهم ودروعه وخوذته السمراء كذلك. يضىء البرق الأفق فترى قسمات وجهه الأبيض ليس غليظًا، شاب وسيم يذكرك بالأفلام الكرتونية، يمسك حربته ويقف بين باقى الفرسان يتهامس الرجال فيما بينهم، الكل يرتعد، ثم برررروووووم!

هزيم الرعد مرة أخرى يضرب بمطرقته السحب مرة أخرى، فينتفض، وينتفض فرسه.

إن الحروب بينهم وبين إنجلترا طاحنة وفى أوجها لقد قتل أخاه بلير فى الحرب الماضية حين حاصرتهم جنود إدوارد ودكتهم ودكت حصونهم دكًّا.

ملجرو ابن المزارع البسيط سوف يموت مثله مثل أخيه بلير، دون أن يلقوا له بالًا.

لكنه لا يريد الموت، إنه يريد الحياة. سوف يجد الفرصة ووقتها سيفر بنفسه حتمًا.

سوف تأتى الحرب وتمحى كل شىء، سوف تغسل كل شىء كالمطر الذى يغسل الطرقات.. لكن هل وقتها سيكون موجودًا؟

فى ذهنه دارت تلك الأفكار، لكن قطعها صوت حافر فرس يدق الأرض دقًّا متجهًا ناحيته هو. هو بالتحديد!

يقف الفارس أمامه تمامًا ثم يقول:

- القائد الأعلى يريدك.

فقط قالها ثم انصرف وكأنما يعلم أن ملجرو قد فهم ما الذى أراده، بالفعل تحرك ملجرو خلف القائد، شقوا صفوف الفرسان، واتجهوا إلى خيمة كبيرة، تركوا أحصنتهم، وترجلوا إلى الداخل. بالداخل كان يجلس رجل فى منتصف الستينيات يرتدى ملابس بلا دروع وخوذه، إنه مفرى، قائد الجيش.

أمر مفرى القائد الآخر بالانصراف فانصرف على الفور بلا كلمة واحدة.

أمر مفرى مليجرو بالجلوس، فجلس، نظر له بود ثم أضاف بتؤدة:

- خمنت لما أريدك أيها الشاب الذكى؟

نظر له ملجرو متعجبًا ثم أضاف:

- أيها القائد العظيم أنت أعلم بكل شىء، ولن أستطيع التخمين، لأنك القائد، لكن إن أردت ذلك فسوف أفعل.

قهقه الرجل فشعر ملجرو بالتوتر، فأضاف الرجل برصانة:

- نعم الشاب ونعم الاختيار.

هكذا قال، وهكذا قرر أنه أحسن الاختيار.

فلقد اختار القائد مفرى، الشاب الجندى ميلجرو كى يقدمه ككبش فداء لإرساله الى داخل قلعة ستريلنغ وسط الإنجليز، لتقديم رسالتهم اليهم، فهو لن يؤثر فى الجيش أو فى العائلات إن مات أو ذبحوه فهو قربان لا بأس به.

هو من الدهماء، لكن الملك روبرت طلب من الجميع حشد القوات بأى شاب يستطيع حمل حربة.. فقط حمل حربة، وقد كان.

ذهبوا إليه فى كوخه، وحملوه حملًا كالخراف ووضعوه داخل العربة مقيدًا ومعه عدد من أقرانه، سوف تذهبون إلى الحرب بأمر الملك. والآن..

- سوف تذهب إلى القلعة وتعطى هذه الرسالة إلى الملك إدوارد.

قالها القائد مفرى، وهو يناول رسالة ملفوفة وتم حزمها برباط قوى، إلى ملجرو، الذى لم يكن لديه الخيار سواء بالرفض أو حتى الموافقة، فقط تناول اللفافة، وذهب.

رمقه مفرى وهو يغادر الخيمة، وكله أمل أن تصل رسالة ملكه روبرت إلى ملك إنجلترا إدوارد.

ثم بروووووووم مرة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

داخل قلعة ستيرلينغ – أسكتلندا

ليلة يوم 23 يونيو 1314

يجلس الملك إدوارد الثانى وحوله الكثير من حلفائه، يتحدثون بصدد أسكتلندا التى أتت برجالها كى تسترد منهم ستيرلنغ، يدخل أحد القادة دون استئذان، المطر أغرقه بالكامل، يقف أمام الملك إدوارد ويعطيه التحية، ثم يقول من بين أسنان تصطك:

- هنالك فارس من قوات روبرت بروس يريد مقابلة جلالتك.

نظر له الملك ثم نظر إلى الجمع الذى تبادل النظرات، ثم أماء الملك رأسه إلى القائد إماءة موافقة أن دعه يدلف.

دلف الفارس المنتظر، بالطبع كان ذلك الفارس هو مليجرو، تقدم بضع خطوات بحصانه ثم غادره بمجرد ما أن رأى الجمع.

لم يدر أيهم الملك، فقط عندما ابتعد الحشد وأفرج عن العرش، رآه يجلس بلحيته الصفراء.

تذكر أن ينحنى، فانحنى، ثم تقدم ليعطيه الرسالة.

تناولها منه رجل ما ثم أعطاها بدوره إلى الملك، الذى ما إن أخذها حتى فضها، وشرع فى قراءتها فى سره.

هنا أحس ميلجرو بالغباء التام، وتذكر أنه لم يقرأ نص الرسالة قبل إعطائها إلى الملك.

لذا دعا الرب أن يكون نص الرسالة باردًا على صدر الملك، وإلا طارت عنقه الآن وفى الحال.

وجاء رد الملك باردًا بالفعل، فقط ابتسم الملك، وأمره بالانصراف. هكذا كل شىء، لقد نجا.. بالفعل نجا!

لقد فعل ما طلبوه ونجا بجسده.

أخذ ينظر إلى القلعة وإلى الفرسان الذين يقفون حول سور القلعة من الداخل، وهو يغادر بوابة القلعة الداخلية، وقبل أن يمتطى فرسه وفى لحظة واحدة فر مبتعدًا ومنحرفًا عن المسير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث

فى اليوم التالى وبعد انتهاء جدول أعمال البروفيسور اجتمع الجميع فى بهو الفيلا

كنا تسعة بما فينا البروفيسور.

حييت الجميع وجلست وأنا أنظر فى ساعتى، لم أتأخر فقط هم حضروا مبكرًا

ابتسم البروفيسور، وهو ينظر إلى كأنه عالمًا بما جال بخاطرى، أضاف:

- نعم لم تتأخر أنت فى موعدك مستر إبراهاييم.

قالها وتابع قائلًا للجمع الجالس بلغة إنجليزية سريعة كأنما فى مقابلة شخصية أو اختبار.. ما بين أصفر وأبيض وأسمر نجلس.

- مستر ابراهاييم.. مصرى.. محام.. آخر أعضاء الفريق. أعلم أنكم تقولون أن هنالك عضوا ينقصنا ولم نكتمل بعد. فبالفعل هناك أحدهم لم يأت بعد إنه فرايزر، هو أسكتلاندى صديقى منذ سنوات مضت، لم يأت لأننا سنذهب إليه، فجولتنا سوف تبدأ من هناك من أسكتلندا.

حقيقة أنا أعشق تلك البلد الباردة، أسكتلندا حيث أدنبرة، وستيرلينغ . ونس

أشار إلى الرجل، فانتبهت إليهم، فأعاد حديثه مرة أخرى، لأننى لم أستمع إليه.

- كنت أقترح عليكم جولة لمدة يومين تزورون فيها لندن، قبل المغادرة. من يريد شراء أى شىء فليبتاع يومين ثم نحزم حقائبنا إلى أسكتلندا.

قالها ثم أشار إلى فتاة رائعة الجمال ترتدى حجابًا أبيض خفيفًا تجلس عن يمينه تمامًا:

- نبدأ من هنا حيث ماليتهالبروج وهى باحثة رومانية من أصول تركية.

- لهذا يوجد الحجاب.

قلتها لا أعلم لما، لكنها أفلتت رغمًا عنى، فأضافت هى برصانة:

- ان أمى تركية، ووالدى من بوخارست.

- ممم.. بوخارست رومانيا عشيقة كل رواية من روايات الرعب.

ابتسمت بذات الرصانة، وأضافت:

- أشكرك. أنا أيضًا أعشق مصر وقد زرتها من قبل فى سن صغيرة مع والدتى.

لقد زرت الأخرامات وأبو الخولا.. وعلمت أنه سيدة وليس رجلًا على الرغم من كل الابحاث الماضية والتاريخ القديم ...

بالطبع تركتهـا (تعك) كما تريد دون أن أحرجها، فأضافت كى تزيد من (البلة طين):

- وكذا زرت معبد الفيلة فى بورسعيد، وطريق الكبشات فى أسوان والأقصر.. وقرأت كثيرًا عن لعنة الفراعنة.. والملك الشاب توت.

نظر لنا البروفيسور هابلر جيف، وأضاف مقاطعًا حديثنا:

- مستر إبراهاييم مسز ماليت، لنرجئ ذلك الحديث الآن إذا سمحتما، ولنكمل التعارف.

قالها مخرسًا الفتاة، ثم أكمل حديثه مشيرًا إلى شخص قصير حليق الذقن والرأس مقدمًا إياه لنا جون فالكريك عالم تشيكى متخصص فى الباراسيكولوجى، وباحث ميدانى.

ثم أشار إلى سيدة لم تتعد الأربعين بعد، تعقص شعرها الأسود بطريقة رائعة، ممتلئة قليلًا ذات أعين تم سحبها من الطرفين إلى أعلى، وأضاف: كايوت. مسز كايوت، من آسيا تحديدًا من اليابان.

استدار البروفيسور وأشار إلى فتاة شعرها أصفر (فاقع) لونه.. بيضاء كورقة A4 تمامًا، ترتدى تى شيرت فضفاضًا أبيض اللون يجعلها أكثر بياضًا وجمالًا ومعها مسيو بيسايا الذى رأيته مسبقًا وأضاف:

- (هيلين ألبـرت مـور) ومسيـو (بيسايا) باحثة رومانية حديثة التخرج. و(ميسيو بيسايا) عالم آسيوى من الفلبين.

قالها فأومأت برأسها فى تهذيب وأنفة، فأمأنا بدورنا لها محيين.

وهناك أيضًا الآنسة بيليت أبوود.. باحثة من فلورايدا.

قالها وهو يشير بيديه ناحية فتاة لم تتعد الثلاثين عامًا ذات شعر أشقر قصير أو بمعنى أدق تم قصه فى تهذيب واضح لدى « حلاق » يعلم ما يجب فعله جيدًا، ترتدى عوينات رقيقة مثلها، تضحك باستمرار على كل شىء.

ثم هنالك السيد إلياندور كينو..

قالها وهو ينظر ناحية فتى أبيض ذو غمازات ولحية طويلة مظهره يذكرك بالفنان شكرى سرحان.

وأخيرًا السيد فرايزر كما قلت فى أسكتلندا ينتظرنا بعد يومين.

قالها البروفيسور، وهو يضيف منهيًا حديثه وجلستنا تلك:

- أما الآن لديكم جميعًا راحة لمدة يومين كاملين. افعلوا فيهما ما يحلو لكم.

قالها ثم هم بالانصراف إلى مكتبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المعركة

أخذ ملجرو نفسه وانطلق بعيدًا عن أسوار القلعة فارًّا من كل شىء، لقد فعلها، لقد أوصل الرسالة كما أرادوا، ماذا يريدون منه بعد ذلك؟!

أن يحارب؟

أن يموت مثل أخيه ميتة الكلاب، ولا أحد يعبأ به؟

لا لن يفعل، سوف يترك لهم كل شىء، سوف يترك لهم البلاد بأكملها سوف يجد عيشه فى مكان آخر، حيث لا حرب.. هو مزارع كأبيه، وأخيه، لا حاجة له بالحرب، سوف يعود إلى الزراعة وسيتخذ كوخًا له بالقرب من البحيرة. لن يجدوه، لن يعبئوا به، سوف يقولون إنه قتل داخل القلعة، أخذوا منه الرسالة ثم أعدموه.

وبالفعل أمسك سكينًا صغيرة بعض الشىء وانتظر فى الظلام فى أحد الأركان مرور أحد الجنود.. دقائق ومن ثم سمع صوتًا لأحدهم، تجهز، لكنه ارتبك وانسل منه الدمع كالأطفال، ومر الجندى من أمامه بسلام، ولم يره.

شحذ قواه مرة أخرى، وقرر أن يفعل فى تلك المرة، وإلا اكتشفوا حصانه الذى تركه وحيدًا، وفر.

صوت آخر يدنو.. تماسك قليلًا، وقبض بيديه أكثر على السكين، ثم اندفع بكل قوته، رافعًا إياها إلى أعلى وغمسها فى ظهر الرجل، وهو يقبض بيده اليسرى على فمه كى لا يصدر صوتًا.

أدار السكين مرتين بقسوة، كى يطمئن أنها مزقت ظهر الرجل، ثم تركه يسقط على الأرض، جره جرًّا، وأخذ يحرر الرجل من ملابس، وأخذ يرتدى ملابس الجندى الإنجليزى.

دقيقة مرت وخرج ببطء وقد ارتدى ذى الرجل وحمل أسلحته.

رآه أحد الجنود، فنادى عليه وهو يزجره على تركه مكانه، سوف يخوضون الحرب الان، اقتاده الرجل وأخذ يلكزه فى كتفه حتى أدخله وسط حشد من الصفوف المجتمعة أمام البوابة، لقد فر من الموت وسط صفوف الأسكتلنديين، كى يموت فى كنف الإنجليز.

صرخ أحد الرجال، إنهم سيخوضون الحرب، لن يتركوا جنديًّا أسكتلنديًّا إلا وقد محوه من على ظهر الأرض، سوف يبيدونهم جميعًا.

فرغ الرجل من كلمته، وتحرك المسير فى نظام.

نظر إليه أحد الجنود وابتسم، وأضاف:

- لا تخف إننا المختارون أيها الرجل.

قالها ثم صمت، ابتسم له ميلجرو ولم يتبادل معه الحديث، فقط انحرف بخفة عن المسير، كاد أن يناديه الجندى، لكنه توقف ونظر إليه، وبكلمات مرتجفة وفم مرتعش، أضاف مليجرو:

- مثانتى ستنفجر.. فقط.. أفرغها.. ثم أعود.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع

يومين كاملين لا أفعل أى شىء سوى الانبهار بهؤلاء القوم، هذه مدينة نظيفة.. القوانين تحكم فى كل مكان وفى كل وقت.

حقيقة ورغم كل شىء لم أكن أعلم بالفعل أن أسكتلندا هى جزء من مملكة بريطانيا، لكن والحق يقال أن لندن بلد نظيف منظم، يلقبونها بمدينة الضباب، عمدتها يدعى صادق خان..

زرت فيها الكثير من المناطق السياحية والمتاحف والجامعات، ورأيت نهر التايمز، لكن ما علق فى ذهنى هو متحف لندن، وهو متحف جيد جدًّا وبحق، فهو يحكى لنا تاريخ مدينة لندن بدءًا من فترة ما قبل التاريخ إلى وقتنا هذا، وهو يقع بالقرب من كاتدرائية تدعى سان بول، فى باربيكان.

الحقيقة أن لندن قد راقت لى بحق طبيعتها، وجمال تضاريسها الجغرافية

الحقيقة أيضًا أن ما رأيته أدهشنى وأحزننى فى ذات الوقت.

لذا مر اليوم الثانى بسرعة كأنه ساعات. أنت فى بلد نظيف أيها الرجل بلد يحترم القوانين والإنسانية وكل شىء، كيف لك أن تكرهه أو تمل فيه؟!

لذا عندما أتى اليوم الثالث.. يوم المغادرة. مغادرة لندن والذهاب الى أسكتلندا. كدت أبكى كالثكالى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى صباح اليوم الثالث

غادرت حجرتى، وهبطت الدرج، وجدت الجميع منتظرًا، هؤلاء قوم لا ينامون مثلنا بكل تأكيد أو أنهم باتوا فى أماكنهم فى البهو بالأسفل.

صافحنى البروفيسور جيف، وهو يضيف أن كيف حالك إبراهاييم؟

هل أعجبتك لندن؟

بالطبع أعجبتنى، لم أر بلدًا مثلها من قبل.

ابتسم البروفيسور، وأضاف وهو يتجه بى إلى حافلة حديثة مجهزة بكل شىء:

- سنتجه الآن إلى أول بلد وأول مغامرة حقيقية للجروب، هل أنتم متحمسون؟

- جدًا.

قالها ثم نظر للجمع وهو يقولها بصيغة الجمع، فهتف الجمع بنعم متحمسـون، وجلسنـا فـى أماكـن حددهـا لنا هـو، وانطلقت الحافلـة الـى أسكتلندا. مدينة القلاع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان فى استقبالنا فرايزر، وهو رجل أصوله إيرلاندية، ويحيا فى أدنبرة بأسكتلندا منذ العاشرة من عمره، وغادر هو ووالده بعد وفاة والدته بعامين، واستقر فى أسكتلندا، ولم يغادرها حتى الآن، عمل بعدد أبأس به من جامعات أدنبرة كباحث تاريخي، ثم احتل منصبًا هامًّا بمتحف المدينة، صافحنا جميعًا، ومنذ اللحظة الأولى أدركت أنه اتخذنى صديقًا له.

توطدت العلاقة بيننا سريعًا،وصار صديقًا لا بأس به فى الغربة.

جلسنا فى لوبى إحدى الفنادق وبدء البروفيسور يحدثنا عن تاريخ أسكتلندا وقلاعها التاريخية، وعلمت منه أن معظم قلاع تلك البلاد قد تم بناؤه فقط لأجل الاحتماء، من الفايكنج، ومن الإنجليز، ومن غير ذلك، فأهمية تلك القلاع عسكرية بحتة، هنالك جزء آخر قليل جدًّا من تلك القلاع قد بناه النبلاء فى عصورهم، كى يحيوا فيها.

توقف الرجل عن الحديث، وقدم لنا فرايزر، وناوله (المايكروفون)، وأخذ يحدثنا بدوره عن أسكتلندا، وإيرلندا، وإنجلترا، وأممهم الكبيرة بريطانيا.

ساعة كاملة يشرح لنا فرايزر فيها تاريخ وجغرافية البلاد الثلاث مرة أخرى، لكن باستفاضة أكثر كأنه فى مزاد علنى حتى أسكته البروفيسور مقاطعًا:

- حسنًا يا شباب لنخلد جميعنا إلى النوم الآن،.. (وشرع فى تقسيم الغرف.. وكان نصيبى مع فرايزر).. ولنحزم حقائبنا، لأن الغد أول أعمال الجروب الحقيقية ستبدأ. سنذهب إلى دونفيجان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفرار

هكذا فر ميلجرو من وسط الجمع وانحرف عن المسير، هنا رآه أحد القادة نهـره، وضربـه على صدره ضربة أوجعته، واقتاده مرة أخرى إلى الجمع، لا مهرب هكذا قال فى نفسه، سوف يدخل المعركة حتمًا، لكن فى صفوف الإنجليز.

فتحت الأبواب الحديدية.

فى هذه اللحظات كان الجيش الأسكتلندى قد تأهب وحشد قوته، وأخذ ينتظر.. سوف يفتحون لهم البوابات، ثم يلتحم الجيشان.

ما إن فتحت البوابات حتى اندفع الجميع فى شهوة الدم والتحم الجيشان وبدأت المعركة.

استل مليجرو سيفه وقبض بيديه على مقبضه متأهبًا لا يعلم من سيضرب أو من أول رأس ستطير، فى هذه اللحظة دنا منه قائد إنجليزى، وصرخ فى وجهه وتطاير من فمه الزبد أن اقتلوهم جميعًا، اقتلوا هؤلاء الرعاع.

هنا لم يدر ميلجرو بنفسه إلا والسيف يترفع إلى أعلى ويهوى على رأس الرجل ليشطرها إلى نصفين كالبطيخة، وسط ذهول الجنود الذين من حوله، سواء الإنجليز أو الأسكتلنديين. وتهاوى الرجل على الأرض كالجوال.

وقتها فقط نظر إلى ملابسه، وعلم لما يحدق فيه الجميع، لقد نسى هذا تمامًا.

نظر حوله، وانطلق يعدو وسط الزحام، وجد فارسًا يمتطى جوادًا وممسكًا بحربة، أمسك من قدمه وجذبه، فأطاره من فوق فرسه، غمس السيف فى معدتـه، وامتطـى مكانـه الجـواد، وأطلق لـه العنان مغمضًا عينيه شاقًّا الصفوف، سوف ينجو.. سوف يخرج من هنا سالمًا. هكذا حدثته نفسه. فقط ليكن الحظ معه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى أرض فضاء تعثر الفرس وتوقف يطلق صهيلًا. هنا رآه يبتسم إليه، متشحا بالسواد، شعره ينسدل على كتفيه، من هذا الرجل الأشعث؟!

لم يبادله الابتسام، فقط غادر حصانه وترجل، متجهًا اليه.

الرجل يبدو مسالمًا لا يحمل دروعًا أو سلاحًا، اتجه نحوه، وقبل أن يتفوه بكلمة واحدة ابتسم الرجل مرة اخرى، وأضاف بتؤدة:

- سوف يجدوك مليجرو، لا مهرب!

- من أنت؟

قالها، ووضع يده على سيفه الممتلئ بالدماء، وهم أن يستله، لولا أن أضاف الرجل بذات التؤدة:

- لن تعرفنى، فقط أنا أريد مساعدتك كى تهرب من هنا.

هنا سمع ميلجرو صوت أقدام الخيول تقترب منه، فأضاف الرجل:

- لقد أرسلوا مجموعة من الفرسان خلفك، لأنك قتلت قائدهم. سوف يمزقونك يا رجل، فقط أنا أريد مساعدتك.

لم يدر مليجرو بما يجيب، وفى الأفق ظهر الفرسان، فأضاف فى سرعة وهو يمتطى الحصان:

- وماذا تريد منى أيها الغريب؟

- فقط روحك.

نظر إليه مليجرو، وأضاف فى دهشة:

- أنت مجنون لامحالة.

- لن تموت مليجرو أن أعطيتنى روحك.. ثم (تشووووو)

(صوت رمح مر بجوار مليجرو تمامًا)، لكنك ستموت إن لم تعطنى إياهاوالان، على يد هؤلاء الفرسان.

هنا لم يدر مليجرو ماذا يفعل، فقد اقترب الجمع منه بشدة، لذا حرك جواده وهو يبادل النظرات بين الرجل، والجمع، ويقبض على سيفه، ثم أضاف بصوت كاف ليسمعه الرجل:

- قبلت.

قالها فحسب.. وكأنها كانت كافية ليطير سيفه من يديه رغمًا عنه وينغمس فى صدر أحد الجنود، ويسقطه عن فرسه، نظر مليجرو إلى الرجل فى دهشة، لكنه لم يكف عن الاندهاش بعد، فطار جندى آخر فى الهواء وابتلعه الظلام وهو يصرخ صراخًا مدويًا. اختلت حركة الجياد، وأخذ الصهيل يدوى فى الافق، وتوقفوا جميعًا وانشقت الأرض وأخذت فى الاهتزاز، وابتلعت الجمع بأثره فى بطنها، ولم يتبق سوى الغبار، وصرخات أخذت فى الابتعاد والتلاشى، ثم حل الصمت، ولم يبق سوى صوت الرياح!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظر مليجرو إلى الرجل، فلم يجده!

لقد تلاشى هو الآخر!

أخذ فرسه، وضربه بقدميه، وانطلق مبتعدًا عن الساحة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إيرينا

بالقرب من بحيرة الجنيات بدونفيجان فى جزيرة سكاى على الساحل الغربى لأسكتلندا مكث، يلتقط أنفاسه.

البحيرة الرائقة تناديه.

هكذا حرر ملابسه، ونزل فى مياهها بتؤدة..

الحرب.. الدماء.. الرسالة.. الهرب.. الرجل الغامض.

كل هذا يدور فى عقله تحت الماء.. دقيقة كاملة قضاها تحت المياه لم يسمع خلالها صوت أقدام ذلك الفرس الذى دنا منه، ووقف فارسه يتأمله وهو يمكث تحت الماء، كأنه يتخلص من جميع متاعبه التى حلت به.. همومه، ومصائبه، ومخاوفه يغسلها فى مياهها.

ثم نفث الهواء الذى يحتبسه داخل المياه ليخرج فقاقيع، وخرج بجزعه خارج المياه، عندها رأى الفارس. لم يدر ماذا يفعل، ثوان وعلم أن الفارس ليس من الجنود أو المحاربين، ثم ثانية أخرى علم فيها أن الفارس ليس رجلًا، بل هو أنثى.. أجمل أنثى رآها فى حياته، شعرها المنسدل، وعيناها الساحة الأخاذة أخذته إلى لا مكان.

من أنت؟

هكذا قالتها فأفاق من خواطره، وبدأ فى استجماع الكلمات. ثم أضاف وهو يضع يديه على صدره كالنساء:

- حطاب ضل الطريق. وأنت؟

ابتسمت هى فازدادت سحرًا، وأجابته بخبث واضح وكبرياء:

- هل هناك أحد فى أسكتلندا لا يعرف الأميرة إيرينا حفيدة السير ماك ليد؟ وشقيقة فارس فرسان أسكتلندا سيلزر؟

ابتسم بدوره، ثم أضاف مجيبًا فى دهاء:

- إن لم أكن أعرف هذا فأنا أعرف أنك أجمل حورية رأيتها فى حياتى، فى بحيرة الجنيات.

- صه يا رجل. حتى لا أخرسك إلى الأبد. فقط اخرج من عندك وغادر الجزيرة إلى الأبد.

أضاف هو وهو ينظر إلى نصفه السفلى المغمور بالمياه، ثم أضاف هازًّا رأسه:

- لن أستطيع الآن ربما لو غادرت الآن، أو ألقيت لى بملابسى، حتى لا أخرج لك عاريًا، أم أخرج لك هكذا؟

قالها وهم أن يتحرك، فأبعدت ناظريها عنه وأشاحت بوجهها عنه فى حياء جلى، فضحك، وأضاف:

- لن أفعل. لن أفعل يا أميرتى.

- لا تقل أميرتك أيها الرعديد. وخذ هذا ـ وألقت له بملابسه فى المياه ـ، وارتديه، واخرج من عندك.

التقط الملابس، وشرع فى ارتدائها، وبدء فى التحرك خارجًا من المياه.

ما إن وصل إليها ووقف أمامها، حتى أضافت:

- أين تعيش ومن أين جئتنا؟ ثم ما اسمك يا هذا؟

- أين أعيش هذا جوابه أن لا أرض لى، ولا مكان، وجئتكم كى أحيا هنا فوق أرضكم، أما من أين جئتكم فمن هناك من مدينة الشياطين مدينة الحروب.

قالها بمرارة متذكرًا ما حدث له جله، ثم أضاف:

- سوف أبنى كوخًا من الأشجار بالقرب من المياه، فأنا حطاب، وأعرف جيدًا فى الزراعة، كأبى.

صمت برهة، ثم أضاف مبتسمًا وموجهًا ناظريه إلى عينيها مباشرة:

- إن كنت قد قررت ذلك قبل أن أراك، فالآن قد عقدت العزم، ولن أغادر المكان، ولن أبرحه، حتى ولو قتلتينى الآن، فأنا أفضل الموت بين يديك، عن أن أغادر ولا أراك ثانية. هنيهة سكتها ثم أردف:

- حقيقة أنا لا أعلم ما الذى حدث لى، صدقينى، عيناك بهما سحرًا غريبًا، لقد لاقيت من سفرى هذا، ومن الحرب ما لا أتحمله، ما قد تهدجت له أوصالى، لقد قتلوا أخى، ومات أبى حزنًا عليه، وضحوا بى فى الحرب، وأنا لا أحارب ولا أجيد فنها و لا أحب الحرب، ليس هذا عن عدم شجاعة أو جبنًا، بل أنا لا أحب الدماء، لم أخلق كى أمسك سيفًا، بل لأمسك بلطة أشق بها حطبًا.

غادرت فرسها الأبيض، الرشيق مثلها، فأمسك هو بخصرها وساعدها على الهبوط، فكادت أن تصفعه على خديه، لولا أن أمسك بكفها وقبله، ثم جثا على ركبتيه أمامها فى خضوع.

ابتسمت هى رغمًا عنها، وأضافت:

- حسنًا، ربما أتركك أنا هنا حتى الغد، لكن لو رآك أحدهم؟ سوف يفصلون رقبتك عن جسدك إلى الأبد، أيها الحطاب.

ابتسم بدوره مرة أخرى، ثم أضاف:

افضل لى مائة مرة عن الابتعاد عن أعين الأميرة.

نظرت له ثم ابتسمت، وامتطت فرسها، ودون كلمة أخرى غادرت المكان، وتركته.

توقفت بفرسها للحظة، ثم أضافت متسائلة:

- لم تقل لى اسمك يا هذا؟

ابتسم هو، وأضاف:

- ميلجرو.

قالها، ثم أكملت المسير، فأضاف مهمهمًا فى نفسه بعد أن غادرت:

- ميلجرو.. ولن أغادر أبدًا وأنت على تلك الارض.

قالها والتقط فأسًا وبدأ فى جمع الأخشاب من الغابة القريبة المطلة على البحيرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحادث الأول قديمًا

شد استردنبرج أحد فرسان قلعة دونفيجان لجام فرسه أكثر وأخذ يركله بكلتا قدميه بين ضلوعه كى يسرع أكثر، إنه يهرب هذا ما توقعتموه، وهو صحيح لقد ترك مكانه فى مناوبة الحراسة إلى زميله، وذهب كى يستحم فى البحيرة القريبة، حرر ملابسه بعد أن ربط فرسه جيدًا، غمس سيفه بين صخرتين، ونزل إلى الماء، لحظات غسل فيها جسده، وخرج ليرتدى هندامه، هنا رآه

اختلج وجهه، والتحف بسرعة بمعطفه، وصرخ فيه أن من أنت، لكنه لم يجبه، ولم يحرك ساكنًا، ولم يتقدم منه حتى.

أمسك هو بسيفه وحرره من الصخرتين، واتجه إليه ناويًا على العراك. وليته ما فعل!

من أنت؟!

قالها مرة أخرى وهو يتقدم ناحيته بتؤده، ويعدل هندامه. لكنه لم يجب مرة أخرى!

جعل هذا من عصبية استردنبرج تزداد فقرر العراك.

رفع سيفه وهوى به على الرجل، هنا حرك الرجل سيفه ورفعه ليصد به ضربته، فاصطك السيفين، وتطاير الشرر.

وبدأت معركة ضارية بينهما.

ضربات متتالية من إستردنبرج، يقابلها سكون فقط من الرجل، ثم غمس سيفه فى بطنه، لكنه لم يأب!.. لم يحرك ساكنًا!

ثم بدأ الرجل يرسل ضرباته له، ضربات قوية شعر منها استردنبرج بقوة الرجل وسيفه، استدار فى لحظة وغمس سيفه فى بطن الرجل إلى آخره، لقد قتله أخيرًا وتغلب عليه.

لكن الرجل لم يمت!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استردنبرج يرتعد رغمًا عنه لقد أمسك سيفه وحاربه، لكنه لم يستطع أن يتغلب عليه.

لقد استل سيفه، وحاربه، غمس سيفه فى بطنه مرتين، أو ثلاث، لكنه لم يمت.. كيف؟ هو لا يعلم كيف. فقط صرخ انه شيطان، ثم فر هاربًا على حصانه، لكنه فوجئ بأنه يحاول اللحاق به، كما فوجئ أنه لن يدعه يهرب.

حصانه يلهث، ويرتعد بدوره كأنه يعلم أن ما سيلحق به شيطان.

يسمع صوت أنفاس الفرس الآخر يقترب، وينفس، ركل جواده أكثر مرعوبًا، وانحنى به إلى أسفل، حيث الكنيسة، سوف يدخل الكنيسة ويحتمى بها من ذلك الكيان الأسود.

لحظات ويهبط التل، ويمر أمام بيت القديس روبيان، ثم يمر يصل إلى الكنيسة، ووقتها سيدلف إلى هناك، ويغلق الأبواب إلى يوم القيامة.

لكن نظرة إلى الخلف لن تضر، التفت إلى الوراء، ثم ارتطمت رأسه بذلك الغصن العريض، فاختل توازنه وسقط على الأرض، لقد تهشمت جمجمته لا محالة، صداع رهيب ألم به، تجاوزه فرسه وقفز من فوقه هاربًا، وتركه وحده ممددًا على الأرض.

هز رأسه ووضع يديه على مقدمة رأسه يتحسسها، فوجد الدماء، وكأنه نسى أمر الفارس تمامًا، وقبل أن يتذكره كان الفارس يضرب بسيفه عنقه من الخلف، ليتطير رأسه وتسقط أمام جسده تمامًا!

يرتد إليه طرفه مرتين، ثم يغمض إلى الأبد!

يأخذ الفارس نفسًا عميقًا، اشتم فيه رائحة حبيبته، وغادر على حصانه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحادث الثاني قديمًا

أمسك ماكلانوغ نيرسر ببلطته وسط تلك الجموع، التى احتشدت لترى ذلك الحدث الجلل.

إنه حادث إعدام. ياله من حدث الكل أخذ بعضه وأبناءه وذهب ليستمتع بالمشاهدة.. لقد حكم على أحدهم بالقتل، وسوف ينفذ ماكلانوغ الشاب الغليظ ضخم الجثمان ذو اللحية الكثة الشقراء العقوبة..

« لقد نطق الحكم، وسوف يعدمونه »، هكذا نطقها الغر الأبيض النحيل وهو يفر من بين ثنايا والدته، كى يلحق بأقرانه كى يشاهد الحدث من بدايته.

الآن نرى القس وهو يقف يتلو شيئًا من الكتاب المقدس، ويتحدث إلى الرجل المقيد من يديه من الخلف بلا حول ولا قوة، ثم ينظر إلى الملك، الجالس على ذلك المقعد الوثير الذى أعدوه له كى يرى تنفيذ العقوبة عن قرب، فأماء برأسه بإشارة ذات معنى إلى أحد القادة الواقفين بجانب ماكلانوغ الجلاد، فابتسم بأسنانه النخرة وضرب ظهر ماكلانوغ العارى مرتين، فلم يتوان ماكلانوغ بدوره فى أن أمسك برأس الرجل رغمًا عنه، ووضعها على حجر مستطيل الشكل اسودت بعض المناطق المتفرقة من كثرة الدماء المتخثرة عليه، ثم رفع بلطته بيديه وهوى على رقبة الرجل، ودوى صوت الضربة فى الأفق طاااااق.. ثم تناثرت الدماء على جزع ماكلانوغ العارى، معلنة عن انفصال رأس الرجل عن جسده فى مشهد قاسٍ، لكن أهل البلدة صار هذا من ديدنهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ماكلانوغ كما قلنا شاب ذو لحية شقراء وشعر طويل وبنيان قوى.. متزوج من اليانور تلك الشابة البيضاء التى نراها الآن بتلك الملابس الخفيفة الشفافة، داخل ذلك الكوخ تنتظر زوجها الضخم..

الآن نرى زوجها يسير وسط الغابة قابضًا بيده على مشعل يضىء له الطريق.. إنه عائد إلى بيته حيث زوجته، ينحنى ليمر أسفل الغصن المتدلى ويترك المشعل على باب الكوخ، ويدق الباب.

ثوان وتفتح اليانور وتتعلق برقبته وتلثمه، فيحملها، ويدلف إلى الكوخ:

- لقد أعددت لك طعامًا لا بأس به.

تقولها فيتركها، بعد أن يلثمها مرة أخرى، ويتجه إلى المائدة البسيطة المعدة من قبلها، ويشرع فى التهام الطعام بكلتا يديه، ثم..

صهيييييل يدوى فى الأفق.!

تترك هى الطعام وتنظر إليه، وهو يأكل فتلتقى عيناها بعينيه، وتضيف:

- من الذى يجرؤ على السير فى ذلك الجو غيرك.. تقولها وتبتسم، فيدوى الصهيل مرة أخرى، يتبعه طرق شديد على الباب!

هنا تحملق فيه، ويكف هو عن الطعام هذه المرة، وينهض مشمرًا ذراعيه، ويهم بفتح الباب، لولا أن توقف للحظة، تساءل فيها عن الطارق، فلم يجبه، هنا شعر بالخوف يتسلل إليه، ربما هى المرة الأولى، التى يشعر فيها بذلك العدو اللعين للرجال « الخوف » كلمة لم تمر عليه منذ زمن، ولم يعرفها فى قاموسه الرجولى قط.. نظر إلى زوجته كأنه يطلب العون منها، فقط بنظرة عيناها، التى تطلب منه أن يحميها، عندها فقط يشتد بأسه ويفحر الارض بإصبعه.. فقط ليحميها.

مد يديه، وسحب بلطة، أمسكها بيد، وبالأخرى شرع يفتح الباب للزائر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكنه لم يجد أحدًا!!

فقط استقبلته الرياح، ضم معطفه، ونظر إلى زوجته، وتقدم إلى الخارج..

هنا وجده يقف معطيًا ظهره إليه، فتقدم ناحيته ببطء، ووضع يديه على كتفه، فاستدار الرجل بتؤدة،وأمسك بكف ماكلانوغ بعنف، وثناها وسمع الطقطقة.

وقف ماكلانوغ مشدوهًا لا يعلم إن كان مما يحدث له أم من وجه الفارس الذى يشبه الموتى الأحياء بلحمه المتآكل المتساقط، أم من منظره الذى يدل على أنه قد غادر القبر لتوه.

جمع قوته، وحاول أن يضربه بالبلطة، فأمسك الفارس بيده الأخرى، وركله فى معدته فطار بعيدًا عنه، وأخذ يتوجع، هنا خرجت اليانور لترى زوجها جاثيًا على ركبتيه، متوجعًا، ما إن رآها حتى تحامل على نفسه بيده السليمة، وأمسك بلطته، واتجه ناحية الفارس، الذى وقف ينتظره.

وجه له ضربه بكل قوته، فانحنى الفارس لتمر الضربة بسلام، ثم أرجع رأسه إلى الخلف وضربه بالرأس فى أنفه، فأدماها، وشعر ماكلانوغ أنها قد تحطمت، ركلة أخرى فى بطنه، ثم لكمة لا بأس بها فى وجهه.. أطارته على الأرض.

صرخت اليانور وركضت ناحية زوجها، الذى نهض بتثاقل، وطوح ببلطته فى الهواء تجاه الفارس، فانحنى لتمر جواره، هنا أمسك بمقبض سيفه، وأخرجه، واتجه ناحية ماكلانوغ، الذى أخذ يترنح، فأمسكت به اليانور كى لا يسقط، ووقفت أمامه كى تحميه من الفارس، وأخذت تنظر له فى شفقة، فأخذ الفارس ينظر إليها ثم أمسكها من كتفها وطوح بها بعيدًا عن زوجها، تعلقت

بيده وحاولت عضه، لكنه تخلص منها وأطارها بعيدًا.. وأمسك بزوجها وأخذ يجره جرًّا من ملابسه حتى وصل إلى صخرة ما، وضع عليها رأس ماكلانوغ رغمًا عنه ثم أخذ نفسًا عميقًا، اشتم فيه رائحة حبيبته، ثم هوى على عنقه ليفصلها عن جسده.

وتعالى صراخ اليانور وهى ممسكة بما تبقى من جثمان زوجها وأخذت تتشنج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اللقاء الثاني

الآن نرى مليجرو وقد أتم بناء كوخه بتلك الأخشاب التى جمعها من الغابة حول البحيرة، ثم لطخه بالوحل كى يتماسك ببعضه البعض ولا يسرب ضوءًا.

الآن نراه يمسك حربته، ويختبئ خلف تلك الشجرة كى لا يراه ذلك الأرنب الذى أخذ يقفز بين العشب فى استمتاع.

أخذ نفسًا عميقًا وطوح بيده إلى الخلف واستعد كى يلقى بالحربة على الأرنب، ثم .... تشوووووووووو!

سمع صوت الرمح يمر من جنب أذنيه، ليشق الهواء، ويشق بدوره أمعاء الأرنب الذى ما لبث أن سقط بلا حركة.

نظر إلى الخلف بسرعة مرتعدًا، فوجدها..

إنها هى.. إيرينا مرة اخرى..

تجلس على جوادها ممسكة بالقوس، الذى خرج منه الرمح.. وتبتسم.

ابتسم هو بدوره، وأضاف:

- أنت بارعة فى كل شىء يا أميرتى حتى القنص، لقد قنصتى قلبى كالارنب هذا.

ابتسمت هى رغمًا عنها، ثم أضافت:

- إن لم تنته عن هذا فسوف يشق الرمح أمعائك فى المرة القادمة يا عاشق.

قالتها ثم تركت الفرس وغادرته، واتجهت ناحية الكوخ، وهى تقول:

- أنت أيضًا رائع فى البناء يا رجل، يعجبنى هذا..

أمسك هو بالأرنب من أذنيه، وأخذه معه، وأضاف:

- أشكرك على الغداء فأنا جائع بالفعل.

- للعلم هذا ليس غداءك وحدك.

- ماذا؟

قالها هو متعجبًا بعد أن وصلا إلى باب الكوخ، فأجابته وهى تستدير ناحيته:

- نعم.. ليس غداؤك وحدك.. لأننى جائعة.. جائعة جدًّا ... وأود أن أعلم إن كنت بارعًا فى صناعة الطعام أم لا.

ابتسم هو هذه المرة، وأضاف:

- هذا شرف لى يا أميرتى.. أن تتناولى غداؤك مع الحطاب الصعلوك مليجرو.

قالها ثم وضع الأرنب على قطعة من الخشب، وأخرج سكينًا شحذه جيدًا، وتررراااك.. هوى على رأس الأرنب ليفصلها عن جسده، وهم ليسلخه، وهو يقول:

- أود أن أسألك سؤالًا أيتها الأميرة. أن سمحت لى.

نظرت له فى تعجب، وأماءت برأسها غير فاهمة، فأضاف:

- الحرب

- لا أعلم ما الذى تعنيه.

اتجه إلى بعض الأخشاب وأوقدها، ووضع داخلها الأرنب كى يشويه. ثم:

- أقصد لماذا لا تحاربون مع جيش أسكتلندا؟.. قالها وأردف:

- أنا لا أقصد شيئًا صدقينى.. فقط أريد أن أعلم لماذا؟ فأما عنى فأنت تعلمين قصتى ثم إننى لا أملك من الحرب شيئًا ولا من البلد شيئًا أما عنكم فأنتم أعيانها وتملكون منها الكثير الذى تخافون عليه منهم من الإنجليز.

نظرت هى إليه، وأضافت:

- حقًّا لا أعلم كيف سأقول لك هذا لكننى سأقوله فحسب، أنا لست مثلهم.. هم يريدون المال.. يريدون النفوذ.. يريدون الأرض.. أية أرض.. سواء هنا أو هناك..

- ماذا؟ لا أفهم؟

- النبلاء فى أسكتلندا يعشقون الأرض.. لذا فالإنجليز يقايضونهم بذلك يملكونهم الأرض مقابل عدم الحرب.

- الأرض مقابل الحرب.

- نعم. هل فهمت الآن؟

- أعتقد هذا.

قالها واتجه إلى الأرنب وبدأ فى إعداد الصحون وشرع يمزق الأرنب ويعطى منه إلى إيرينا، التى نظرت إليه، و.. وقبلت يديه.

نظر هو إليها وجثا على ركبيته، وقبلها من جبهتها، واحتضنها وضمها إلى صدره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحادث الثالث قديمًا

- حسنًا أزيحوا هذه المياه.. أزيلوها كلها لا أريد نقطة واحدة هنا.

قالها القس بورايس الأصلع إلى الرجال الذين شرعوا يزيلونها بالفعل، من داخل الكنيسة.

- « ساييينيه »

هكذا نادى صارخًا على ذلك الفتى النحيل الضعيف ذى الشارب الرفيع مثله ساييينيه مساعده، دقائق وكان ساييينيه أمامه يلهث، ويرتعد..

هنالك غرفة باقية فى الكنيسة لم يتم إعدادها يا سييينية، سوف يحضر النبيل بارغ غدًا وسوف يمر على الكنيسة ليراها. سوف أذهب إلى رولير لأحضر منه بعض أغراضى، وبالطبع لن تذهب معى.

نظر إليه الفتى، وهمهم قليلًا، ثم أشار هنا وهناك كالأبله، وغادر من أمامه.

هذا الفتى طيب بلا شك، لكنه معتوه كذلك.

هكذا قال فى نفسه، ثم أضاف بصوت مسموع كى يسمعه:

- لن أتأخر صدقنى ياساييينيه.

قالها فسمع الفتى يهمهم ثانية من بعيد، وتلاشى صوته إلى الأبد.

فأخذ نفسه وخرج من الكنيسة متجهًا إلى رولير.

فى طريقه إلى العودة فى الليل شعر بمن يتبعه ويقتفى أثره!

توقف والتفت إلى الخلف فلم يجد أحدًا. أعاد نظره إلى الأمام، فسمع صوت الصهييل يدوى فى الأفق!

لقد علم أن دوره سوف يأتى لكنه لم يفكر للحظة أنه سوف يكون بتلك السرعة.

لقد مات قبله ماكلانوغ واستردنبرج أحد فرسان قلعة دونفيجان.. والآن حان دوره هو.. هو بالذات.

والصهيل هو العلامة.

ترك أغراضه على الأرض وانطلق يعدو بعباءته وسط الوحل، لقد ترك الفتى اليوم، لو كان أخذه..

لكنه لن يفيده فى شىء فهو نحيل ضعيف، بالإضافة إلى أنه معتوه كذلك.

صوت الحوافر تضرب الأرض بسرعة.. وتقترب منه.

انحرف إلى الغابة وأخذ يعدو أكثر، ثم اختبأ خلف شجرة، وأخذ يلهث. قلبه الواهن سيتوقف حتمًا الآن.

نظر من خلف الشجرة ليراه إن كان يتبعه أم توقف، فلم يجده.. خرج من خلف الشجرة وأخذ يركض مرة أخرى هذه المرة تجاه الكنيسة.

الصهيل يدوى مرة اخرى، كاد أن يبكى، لكنه تعثر وسقط على الأرض، وسط الوحل، هنا لحق به الفارس، غادر فرسه وترجل ناحيته..

أمسك به من ملابسه، وجره جرًّا حتى أقرب صخرة، ثم وضع رأسه عليها رغمًا عنه، ورفع سيفه فى الهواء وهو يشم رائحة حبيبته ثم هوى به على رقبته ليفصلها عن الجسد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصية بالدماء

واشتعلت الحرب واصطك السيفان سيف أسكتلندا وسيف إنجلترا..

النبلاء يشترون بالأراضى، والدهماء هم من يدفعون الأثمان..

فى تلك الحقبة ظهر الكثير من المناضلين والمحاربين من الدهماء وعامة الشعب يريدون الحرية والاستقلال للبلاد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نرى الآن إيرينا تجلس على المقعد الخشبى الذى صنعه لها مليجرو، وتمسك بفرشأة غمستها فى الألوان وبدأت فى رسم الأشجار والبحيرة التى أمامها.

من الخلف أتاها مليجرو ووضع يديه على رقبتها فى حنو، يستنشق عبيرها الخلاب، كالزهور البرية، وهو ينظر لما ستنتجه تلك الفرشاة من منظر خلاب.

فقالت هى فى رقة:

- هى فطرة فى، لا أحد فى العائلة يرسم..

قالتها فأضاف هو، وهو يستدير ليقف أمام لوحتها:

- أنت متفردة يا أميرتى.. لا أحد مثلك فى أى شىء.. صدقينى.

- وأنت كذلك.

قالتها ثم أضافت:

- اجلس كما أنت وسوف أرسمك كى تبقى معى فى كل وقت.

ابتسم هو وأضاف:

- حبيبتى إرى.. لقد سمعت والدى يقول إن تركت أحدهم يرسمك فسيأخذ منك روحك يومًا.

- وهذا صحيح.. ألم آخذ روحك بعد.

قالتها ثم أضاف هو:

- ليست روحى فقط إيرى بل وجسدى أيضًا صدقينى. أنت تجرين فى دمى الآن، حتى طفلنا فى أحشاءك أحبه وأعشقه مثلك لأنه منك، لكننى خائف.

- من من؟

- منهم.. سوف يكتشفون يومًا ووقتها لن أكون معكم أبدا. سوف يقتلوننى.. سوف يفصلون رقبتى عن جسدى فى الساحة.. أنا أعلم هذا جيدًا وأعيه، لكننى أحبك، اليوم لا يعلمون.. أما الغد فسيعلمون. حينما تنتفخ بطنك، سيعلمون، عندما تضعين سيعلمون، ربما يراك أحدهم ويبلغهم يومًا وسيعلمون.. وسيقتلوننى فى الساحة وسط العامة لأكون عبرة لهم، هذا الرعديد تجرأ على ابنة النبيل، ابن الحطاب قفز ومر من فوق السور الخاص بالقلعة ليخطف ابنة النبيل.

- سوف يضحكون، ويضحكون ثم ينزل السيف على رقبتى وأموت، ووقتها فقط ارسمينى.

قالها ثم نظر إليها، وأضاف:

- هذه وصيتى إليك، عندما أموت ارسمينى، ارسمى جسدى، ارسمى جسدى لأبقى.. لأبقى إلى الأبد!

قالها وارتعدت هى، لا تعلم إن كان خوفًا منه فى تلك اللحظة أم عليه.لكنها احتضنته وأراحت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى القلعة يقفون على قدم وساق.. الحرب تدك البلاد من جهتين، الجهة الأولى الرعاع الذين اجتاحوا البلاد من أجل شعار تافه وهو الحرية والاستقلال، ومن الجهة الأخرى الإنجليز، الذين يمدون يدهم إليهم بالأراضى والنفوذ.

إلى أين؟

هذا هو السؤال الأزلى الذى فى رءوس الجميع من كبيرهم لصغيرهم.

والاجابة غير معروفة.

أما الرعاع الدهماء وأما الإنجليز النبلاء، لقد وصلوا بين شقى الرحى.

- أين المفر؟

يقولها ماك ليد الملك العجوز إلى ابنه سيلزر الذى وقف غاضبًا، وطوح بعباءته خلف ظهره، ونظر من النافذة القريبة إليه، وهو يضيف:

- سوف ننتظر قليلًا كى نرى لمن الغلبة.

قالها فطرق أحدهم الباب، ولم ينتظر فدخل على عجلة من أمره، واقترب من الأمير سليزر، وهمس فى أذنيه ببضع كلمات، تغير فيها وجه الأمير إلى الأسود من فرط الغضب الجم الذى أحل به، دفع الرجل بعدها فى صدره، ثم أمسك سيفًا من أحد الرجال، وغمسه فى بطن الرجل ليرديه قتيلًا.

صرخ فيه أباه أن ماذا فعلت، فلم يرد، فقط انطلق راكضًا حيث غرفة أخته.. إلى غرفة الأميرة إيرينا.

وثب الدرج فى خطوتين ثم قرع الباب مرة مرتين، ثم دلف إلى الحجرة الفارغة!

- أين ذهبت إيرينا أيها الحمقى؟

هكذا قالها فى جنوده، الذين لم يجيبوا فقط همهموا فهم غير موكلين بمنعها من الخروج، فهى ليست حبيسة.

تركهم، وهبط الدرج مرة أخرى، وهو يسب أحدهم أقزع السباب.

مر على أبيه، وأضاف فى شىء من الهمس:

- ابنتك فى أحضان الرعاع أيها الرجل.

قالها فحدق الرجل مشدوهًا إليه، واحمر وجهه، وصرخ فى جنوده أن أحضروا إيرينا ومن معها الآن إلى القلعة.

وهم الجميع بالتحرك فى اتجاه البحيرة حيث الكوخ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هناك كانت الأميرة قد فرغت من اللوحة تمامًا. نهضت وهى تبتسم فلمحت الركب من بعيد، لم تدر ما الذى تفعله؟

أخذت بعضها، وركضت إلى داخل الكوخ حيث ميلجرو، لكنها لم تجده، لقد ذهب ليحضر لها صيدًا للغداء، يالها من حمقاء كيف لها أن تتركه يذهب وحده، وتجلس هى لترسم يا لها من تافهة.. هكذا قالت وهى تركض عبر الغابة من الناحية الأخرى، بكل تأكيد رآها أحد وقد أبلغ أخاها وأباها، وجاءوا كى يأخذوها، ويقتلوه، بكل تأكيد هذا ما حدث.

- أين أنت ميلجرو.. أين أنت؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى تلك الأثناء كان ميلجرو، يمسك حربته، ويتوجه ناحية ذلك الغزال المتوسط الحجم، ببطء يقترب، ويقترب، ثم فر الغزال هاربًا.

ياله من أحمق، لكن الغزال لم يفر منه فهو لم يصدر صوتًا إنه فر من شىء آخر، وهو ذلك الصوت، إنه صوت إيرينا.. ما الذى يجعلها تصرخ بتلك الطريقة؟!

أطلق ساقيه إلى الريح، وهو يقبض على حربته بكل قوة، وانطلق يعدو وسط الغابة، إلى الكوخ.

ثوان ووصل إلى ساحة الكوخ، ووجدهم.

عددهم ليس بالكثير ولا بالقليل إنهم يقتربون من العشرة. عشرة فرسان تقريبًا هذا ما لمحته عيناه، ولم تخطئه، وقف للحظات كى يعى ما يحدث، نظر فيها إلى إيرينا، التى أخذت تصرخ وتبكى كالأطفال على أحد الخيول وقد قيدوها تمامًا كالصيد.

وفى لحظة صمت فيها الكون بأثره.. قبض هو على حربته، وطوحها ناحية رجل ممن يمسكون بإيرينا، شقت الهواء واستقرت بين ضلوع صدره، وسقط أرضًا وهو يتلوى ثم همدت حركته إلى الأبد، وقتها تحرك الجميع بسيوفهم تجاهه، فبدأ الركض بأقصى سرعته إلى الكوخ ليحتمى به.

تبعوه إلى الكوخ دلف وأغلق الباب خلفه، وخرج من الناحية الأخرى، امتطى صهوة جواده وانطلق يعدو إلى الغابة هاربًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صهيل الخيل يدوى فى الأفق يتبعه صوت أحدهم يصرخ أن أمسكوه.. العاصفة تعوى وتمزق الأشجار وتطيح بأغصانها وتكاد تقتلعها من جذورها، والأمطار تنهمر بقسوة على الموجودات وتغرق الأرض بالكامل، يشد ميلجرو لجام فرسه أكثر وهو يصرخ ويكاد يبكى كالأطفال لقد انكشف أمره.. لقد علموا وسيقتلونه. هكذا خمن، وهكذا سيفعلون..

أنفه الأحمر وشعره البنى الذى انسكب على مقدمة رأسه فى غير حول منه ولا قوة بفعل الأمطار يذكرك بأبطال القصص الكرتونية، لكن ملابسه وهندامه ينمان عن مزارع أو راع للغنم أو حطاب من الحطابين، حتى الفرس الذى يمتطيه كان هزيل الجسد، أغرقه المطر فجعله يتعثر أكثر مما هو عليه من تعثر من الوهلة الأولى تدرك أن كليهما قد عفا عليه الزمان، يلتفت الرجل إلى الخلف فيستمع إليهم أن خيولهم تقترب أكثر، يسمع حوافر خيلهم تدق الأرض دقًّا، تضربها بكل ما أوتيت من قوى، تدنو منه أكثر.. لا مفر.. سوف يلحقون به.. سيهشمون عظامه تهشيمًا فى كما يفعل الهاون فى عظام الجماجم لتتحول إلى بودرة يستنشقها السحرة.. أو ربما يلقونه من فوق أحد الجبال المترامية فيلقى حتفه أو ينفونه فيموت كالكلاب بلا مأكل أو مشرب أو ربما يحرقونه فى المحرقة وسط الكثير من القوم ليكون عبرة لهم جميعًا.. فكيف له هو ابن برناوا ذلك الحطاب الثمل دائمًا أن يفعل هذا؟!.. أن يتجرأ و.. تشووووووو!!

يسمع السهم وهو يفر من داخل قوس أحدهم ليستقر بين عضلات كتفه، يتألم من الوجع الرهيب، ويترك اللجام يتعثر الفرس بدوره من سهم آخر ينطلق ليستقر فى فخده فيطلق صهيلًا متقطعًا ويسقط على ركبتيه ليسقط فوق الفارس داعسًا قدميه.. ينهض متحاملًا، ويبدأ رحلة من الركض البائس وسط غابة من الأشجار والأغصان الممتدة لتسد الطريق الأشجار من حوله تحولت إلى أشباح ترقص وسط الضباب..

الأصوات تقترب أكثر، وصوتهم يدنو أكثر، ثم يتعثر مرة أخرى، ويسقط إلى منحدر يدور حول نفسه ثم بووووووم.. يرتطم بالارض.

« ها هو! »

يسمعها ويحاول أن يتحامل على نفسه، لكنه يغيب عن الوعى رغمًا عنه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يفيق على صوت حشد من الناس!

إنه وسط ساحة المحاكمة، مقيدًا بالأصفاد وسط الجميع، الآن يرى وجه ذلك الرجل العجوز الذى علم أنه من النبلاء، يهمس فى أذنى أحدهم، وهو على ما

يبدو ابنه، إذا إن هذا العجوز هو والد إيرينا، وهذا الرجل الآخر هو شقيقها هكذا خمن فى نفسه، ثم نظر إلى القس الذى أخذ يتلو من الكتاب، ثم صلب فى الهواء، ونظر إلى الملك، الذى أماء برأسه إماءة ذات معنى إلى الجلاد الذى وقف منتظرًا الإشارة كى يهوى بسيفه على رقبته.

لكن الرجل الآخر ذو الشارب والشعر الطويل، صرخ فى الجميع قائلًا:

هذا جزاء من يفكر فى قرارة نفسه فحسب أن يدس نفسه وسط النبلاء، أن ينظر فحسب إلى شقيقتى إرينا ابنة الملك ماك.. قال تلك الكلمات ثم أضاف صارخًا:

- الآن!

عندها هوى الجلاد بسيفه على رقبته وسط الجميع ووقتها فقط علم أنه كان صائبًا.. صائبًا إلى أبعد الحدود.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس

فى الصباح الباكر نهضت وغسلت وجهى، واتجهت إلى حافظة ملابسى، وأخرجت قميصًا وبنطالًا ومعطفًا، وارتديتهم، وهبط الدرج إلى حيث الجميع ينتظر.

كان البروفيسور يتحدث إليه أحد الاشخاص فى الفندق ويشكره، ثم صافحه، وغادر من أمامه واتجه إلينا.

- ها قد اجتمع الجميع. الآن إلى دونفيجان سننطلق، وأثناء الرحلة سوف يشرح لكم فرايز كل شىء عن تلك الأسطورة منذ البداية وحتى اليوم.

قالها ثم أضاف بعد أن تحركنا ووصلنا إلى الحافلة الحمراء التى كانت تنتظرنا:

- فليصعد الجميع ويجلس حيث لصقت الأسماء فى المقاعد، فلكل واحد فيكم اسمه قد التصق بمقعده هذا هو النظام المعتاد.

قالها وبدأ الجمع بالصعود، وبالبحث عن اسمه. كان مقعدى إلى جوار النافذة، وجوارى من الناحية الأخرى كانت السيدة بيسايا لوزون الفلبينية.

استقر الجميع على المقاعد المخصصة له، ثم صعد البروفيسور، وانطلقت الحافلة إلى دونفيجان.

أثناء الرحلة أخذت السيدة بيسايا تثرثر فى أشياء كثيرة عن الأساطير الفلبينية العتيقة، والحديثة عن الخرافات العشرة الفلبينية.. وكان أكثر حديثها عن الـ « أسوانغ »

فى البداية حسبتها تتحدث عن مدينة أسوان التى لدينا بالصعيد فى مصر، ثم علمت أن أسوانغ هذه تعنى لفظة الغول بالعربية.. بعد أن ترجمها لى فرايزر الذى أخذ يضحك بصوت عال على حموريتى، فلقد أخذت أتحدث أنا فى وادٍ وهى فى وادٍ.. هى تتحدث عن أسوانغ وأنا أهز رأسى وكأننى أفهمها جيدًا فهذه بلدى.. تنظر لى هى بغرابة ثم تنطق الاسم مرة أخرى، فأبتسم أنا، وأهز رأسى.

تحدث فرايز فخرست هى، نهض من مقعده واتجه إلى كابينة القيادة وأمسك مايك موصول بكبينة القيادة وبسماعات فوق كل مقعد كى نسمعه جيدًا، وأخذ يرحب بنا على أرض بلاده، وشرع يحكى لنا أول أسطورة فى تلك الرحلة الطويلة.. أسطورة فارس دونفيجان..

لقد علمتم الجزء الأول منها كلكم عادای.. فإذا سمحتم سوف أنصت أنا، وانضموا لنا بعد انتهاء الجزء الأول أنا مرغمًا على سماعها الآن أما أنتم فلا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جزء لم تقرأه

بعد أن تم فصل رأس مليجرو عن جسده أمسكوا جثمانه، ووضعوه فى قبر وحده بعيدًا عن الجميع بعيدًا عن قبور البلدة عبرة للجميع..

وضعوه ومعه رأسه إلى الأبد، ورحلوا.

فى ذلك الوقت كانت إيرينا تجلس وحدها تئن وتبكى حبيبها الذى قتلوه ظلمًا.

دلف إليها سليزر ولطمها لطمة أدمت وجهها، وركلها فى معدتها بكل قوته، فتألمت، وخرجت الدماء من فمها كالنافورة..

دلف الأب ماك إلى غرفتها، وأمسك بأخيها، وأخذ يهدئ من روعه، ويبعده عنها، والتقطها بين ذراعيه، وأخذت بدورها تبثق الدماء وتتأوه ثم.. « إنها تنزف ».. « ابنتى تنزف »!

قالها وصرخ على الجميع أن أحضروا الأطباء. وأغشى عليها بين يديه.

دقائق وجلس الطبيب بين يديها ثم..

« إنها حامل »!

قالها كالرصاصة فى وجه العائلة النبيلة.

هَم أخوها أن يضربها مرة أخرى، لكن الأب منعه، وتمتم فى أذن أحد الرجال ببعض الكلمات، ثم طلب من الطبيب الرحيل، وأمره بعدم إخبار أحد..

شرع الرجل فى توصيل الطبيب إلى بوابة القلعة، وقبل أن يغادر القلعة انطلق الرمح من أحد الرماة ليستقر فى ظهره التفت الطبيب كى يرى من الفاعل لكنه أغمض عينيه ورحل إلى العالم الآخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقد جلبت لنا العار أيها الرجل؟

قالها شقيقها سليزر، الذى أخذ الدم يغلى فى أوردته وانتفش وجهه كالدببة، ثم أضاف من بين أسنانه:

سوف يتسرب الخبر كالنار فى الهشيم.. سوف يعلم الجميع أن نسلنا قد دنسه ذلك الوغد، سوف نكون كالعلكة فى فم الدهماء أيها العجوز.

قال هذه الأخيرة وضرب مقعد الرجل بيديه، ثم أضاف:

يجب أن نمثل بجثته، وجثة من يتفوه بكلمة واحدة عما حدث.. سوف أجعل من الجميع عبرة كى ينسوا ما حدث إلى القيامة.

قالها ثم صرخ فى بلتيمور ذلك الجسد الأسود، والتنورة الزرقاء، واللحية السوداء أن نفذ ما سمعت وإلا كنت أول وقود النار.

نظـر لـه بلتيمـور بعينين أكـل بياضهمـا السـواد، ثـم أمـاء رأسـه بـلا كلمـة واحدة، وغادر الغرفة.

وقتها انتشر الجواسيس بين عامة الشعب، من ينبس ببنت شفة تفصل رأسه عن جسده وسط الجميع فى الساحة.أما عن جثمان مليجرو، فأخرجوه وسط الجميع، وقطعوه إلى أشلاء ووزعوه على كلاب القرى حتى نفذ لحمه، ولم يبق منه سوى الرأس، فدفنوها وحدها جزاءًا وفاقًا.

لوحة

فى القلعة كانت إيرينا نائمة شفتاها تتحرك والعرق يتصبب منها تهمهم بكلمات لا نعلم كنهها بعد. ندنو أكثر، فنستمع إلى بعض الكلمات:

حبيبى.. هناك ... أنتظرك ... اللوحة ..... الشيطان .....

ثم فتحت عينيها وهى تحملق إلى لا شىء، نهضت متحاملة على نفسها، أمسكت خنجرًا، دسته بين طيات ثيابها، وتسللت إلى الخارج فى حذر وبتؤدة شديدة، عاودها الألم وقفت وأمسكت بطنها، ثم واصلت السير.

هناك من يقف على باب غرفتها يقف يرشف النبيذ، استدار فمرت من خلفه، هبطت الدرج الرخامى بتؤدة بعد أن ادثرت بمعطف أخيها، وعقصت شعرها إلى الخلف كى لا يعيقها، امتطت الحصان، وانطلقت إلى مكان ما!

على ضوء القمر نراها تقف أمام شاهد القبر تبكى..

تتحدث إلى مليجرو الذى واراه التراب.

تجثو على ركبتيها، وتزيد فى البكاء، وتنتحب..

دقائق، ثم تنهض، وتمسك بالرشف الثقيل وتدس مقدمته فى التراب، وتبدأ فى إزالته عن القبر!

ساعة كاملة تزيح فى ذلك الكم من الثرى، حتى ظهر شعر الرأس.

بكت مرة أخرى، ثم أمسكت الرأس من شعرها، ورفعتها، ثم احتضنتها، ووضعتها فى حقيبة صغيرة، وامتطت الفرس مرة اخرى، وانطلقت هذه

المرة إلى حيث القلعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على ضوء الشموع جلست فى غرفتها، واضعة رأس مليجرو على المنضدة مغمضة العينين متربة!

النافذة مفتوحة على مصراعيها، والهواء يلفح وجهها، يشق لسان البرق السماء ويدق الرعد النوافذ.. تدس هى فرشاتها فى الألوان وتضبط لوحة فارغة على ماسك من الخشب، وتبدأ فى رسم لوحة لحبيبها.. لوحة لحبيبها وهى معه!

« أنت متفردة يا أميرتى.. لا أحد مثلك فى أى شىء.. صدقينى.

وأنت كذلك.

قالتها ثم أضافت:

اجلس كما أنت وسوف أرسمك كى تبقى معى فى كل وقت.

ابتسم هو وأضاف:

حبيبتى إرى.. لقد سمعت والدى يقول إن تركت أحدهم يرسمك فسيأخذ منك روحك يومًا.

وهذا صحيح.. ألم آخذ روحك بعد.

قالتها ثم أضاف هو:

ليست روحى فقط إيرى بل وجسدى أيضًا صدقينى. أنت تجرين فى دمى الآن، حتى طفلنا فى أحشائك أحبه وأعشقه مثلك لأنه منك، لكننى خائف.

من من؟

منهم.. سوف يكتشفون يومًا ووقتها لن أكون معكم أبدًا. سوف يقتلوننى.. سوف يفصلون رقبتى عن جسدى فى الساحة.. أنا أعلم هذا جيدًا وأعيه، لكننى أحبك، اليوم لا يعلمون.. أما الغد فسيعلمون. حينما تنتفخ بطنك، سيعلمون، عندما تضعين سيعلمون، ربما يراك أحدهم ويبلغهم يومًا وسيعلمون.. وسيقتلوننى فى الساحة وسط العامة لأكون عبرة لهم، هذا الرعديد تجرأ على ابنة النبيل، ابن الحطاب قفز ومر من فوق السور الخاص بالقلعة ليخطف ابنة النبيل.

سوف يضحكون، ويضحكون ثم ينزل السيف على رقبتى وأموت، ووقتها فقط ارسمينى.

قالها ثم نظر اليها، وأضاف:

هذه وصيتى إليك، عندما أموت ارسمينى، ارسمى جسدى، ارسمى جسدى لأبقى.. لأبقى إلى الأبد!.

تتذكر كلماتها وكلماته معها، فتتساقط الدموع رغمًا عنها، لقد كان صادقًا.. صادقًا إلى أبعد الحدود، لقد علموا مليجرو.. لقد قتلوك.. لقد أنزلوا السيف على رقبتك بالفعل. هل كنت تعلم أم كان تنبؤًا؟!

سأرسمك وسأرسمنى معك إلى الأبد، لن أفارقك.. إلى الأبد مليجرو.

فى تلك اللحظات نرى عين مليجرو تنفتح بتثاقل شديد.. وركن فمه يبتسم بتؤدة، ثم تسكن حركته مرة أخرى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن نـرى ذلك الجندى الذى تـم إخطـاره مـن قبـل رئيسـه بلتيمور الأسود « هكذا لقبه » بالتجسس على أهل البلدة، يسير على فرسه تارة، ويترجل تارة أخرى ويسترق السمع.. يجلس هنا تارة ويجلس هنا تارة أخرى مع هؤلاء العواجيز فهم يدلون بكل شىء له بلا مقابل قط لأن حديثهم أصله النميمة.

لقد تأخر الوقت كثيرًا، لابد أن أذهب إلى رئيسى كى أخبره بما أخبرتمونى به أيها البلهاء.

هكذا قالها فى نفسه، وانطلق يعدو فى الغابة مرورًا بالساحة المدفون فيها رأس مليجرو.

لكنه رأى شيئًا لقد رأى ذلك الشخص المتشح بالسواد من على بعد، يضع مشعل على الأرض، ويزيح التراب من على القبر المدفون فيه رأس ذلك الفتى مليجرو!

توقف بفرسه، وترجل بعد أن ربطه، وبدأ يراقب الحدث عن بعد، لحظة إن ذلك الشخص يبدو واهنًا فى حمل الرفش، هذا لأنه ليس رجلًا إنه.. الاميرة إيرينا!!

ياله من خبر.. سوف يسر له رئيسه بلتيمور، كلا لن يخبر بلتيمور اللعين بل سيخبر الأمير رأسًا.. كى يكافئه هو.. هو فحسب لن ينسبها إلى ذلك الوغد بلتيمور..

لحظات أنهت فيها مهمتها ووضعت الرأس فى حقيبتها، وغادرت.

ابتسم هو فخورًا بما رأى، وركب جواده، وانطلق إلى حيث الأمير سليزر فى القلعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجلس هى بعد أن انتهت من رسم اللوحة.. تنظر إليها وتحدثها.

تسمع صوت أقدام كثيرة تصعد إلى حيث غرفتها، تهم بعمل شىء.. لابد من إخفاء أى أثر.. تنزع اللوحة، وتلفها وتدسها فى صندوق ملابسها، تهم أن توارى الرأس إلا أنهم كانوا قد وصلوا إلى غرفتها، ودلفوا إليها بالفعل فى مقدمتهم كان أخوها سليزر، الذى ما إن دلف ورأى الرأس حتى لطمها بكل قوته، وأمسك بالرأس، وقربها منها قائلًا:

كيف أتيت بهذه أيتها الساقطة؟!

قالها ثم أضاف:

سوف أتركك هنا إلى الأبد، حتى تموتين.. دون لقمة واحدة.

قالها ثم دنا من النافذة، وطوح برأس مليجرو من خلالها بقوة، ثم نظر إليها، واقترب من عينيها قائلًا ضاغطًا على أسنانه:

المرة القادمة سوف أرسلك إليه.

هكذا قالها وانصرف محطمًا الباب خلفه.

ثم أمر أحدهم بالمراقبة.

✻✻✻✻

ارتمت هى على الفراش تبكى، ثم جاءها الصوت!

« سوف أكون معك إيرينا وتكونين معى إلى الأبد.. سوف أنقذك منهم.. فقط سيجىء إليكِ من يطلب منك الثمن.. أعطه إياه، وسف نكون بعدها معًا الى الابد ».

قالها الصوت وتلاشى!

أفاقت هى باحثة عن المصدر، لكن لا شىء!

لابد أنها جنت.. هذا أكيد.

ثم ارتمت على الفراش مرة اخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن يتجسد دخان أمامها!

ويتحدث الشكل الذى تكون أمامها دون أن تراه:

« إيرينا ماك.. ها أنت ذا بلا حيلة.. وهم يقفون بالخارج يحرسونك.. بل يقيدونك ستموتين من قلة الطعام ».

هنا تنتبه إليه، وتتراجع على فراشها وترتعد.. من أنت؟!

تقولها وتضيف:

كيف دخلت إلى هنا أيها الرجل؟

يبتسم هو بوجهه الشاحب، ثم يضيف:

لقد حدثك عنى حبيبك.. مليجرو. لقد قال لك إننى سأقدم إليك وسوف أقدم لك فرصة النجاة معه إلى الأبد. فقط بمقابل واحد.

سوف يكون معك وتكونين معه.. فقط روحك.

تنظر إليه مشدوهة، ثم..

أقسم لك أننى سأفعل.

يقولها فتنظر هى إليه، وتهز رأسها موافقة، لقد قبلت.

يبتسم هو، ويضيف سوف تعودين برأسه إلى القبر، تقتلين أحدهم وتدفنينه مع الرأس كى يعود، جسده لم يعد موجودًا لقد أكلته الكلاب.

أقتل؟!

قالتها، فأضاف:

نعم. واحد فقط يبيت فى قبر مليجرو جوار رأسه ووقتها سيعود إليك إلى الأبد.

قالها وهو يتلاشى، ثم أضاف:

أنت الآن حرة اذهبى إلى حيث تريدين.

نهضت هى وأغلقت النافذة، وارتدت معطفها، وعالجت المقبض الخاص بباب غرفتها، وتسللت.. بالفعل لم تجد أحدًا، لقد ذهب الحرس عنها.

تهبط الدرج الرخامى مرة أخرى ثم تتمطى جوادها، وتهرع إلى الخارج باحثة عن مبتغاها.. باحثة عن رأس مليجرو!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وسط الغابة تبحث حيث قذف بها اللعين سليزر.. على ضوء القمر تبحث.

يجب أن تنفذ ما قاله قبل الفجر حيث يبيت الجسد مع الرأس فى القبر.

يجب أن تجد رأس حبيبها أولَا.

ثم تجد جسد الضحية التى ستقتلها ثانيًا.

ثم تجمع بين الرأس والجسد فى القبر ثالثًا كى يعود حبيبها إلى الحياة! هذه إرشادات بسيطة كما ترون لذا قتلت الغابة بحثًا، لكن لا شىء.

تبكى وتصرخ من فرط الإرهاق والأعصاب التالفة.

تجثو على ركبتيها فى الوحل. فتلمح طيفًا يشبه الرجل الذى جاءها فى غرفتها!

تنهض ماسحة وجهها من المطر فتزيده سوءًا بفعل الوحل، وتتبعه وسط الغابة تبحث عنه وتتبعه حتى توقف عند نقطة ما بالتحديد وتلاشى.. هرولت إلى حيث كان يقف، فوجدت الرأس.. لقد دلها إلى حيث هى أنه يساعدها بالفعل ابتسمت فى هستيريا، وعادت إلى جوادها، دست الرأس فى الحقيبة الجلدية ثم فرت بجوادها مبتعدة عن المكان.

الآن عليها تنفيذ الخطوة الثانية وهى أصعب الخطوات عليها قتل أحدهم..

تذهب إلى القبر وتلقى بداخله الرأس، وتذهب فى رحلة للبحث عن جثمان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يهرع ذلك الجندى الذى رأينا سليزر يهمس بأذنه عندما خرج من غرفة إيرينا، ووقف حارسًا عليها إلى حيث سليزر.. يصل إليه ويقول:

سيدى إن الاميرة قد..

قد ماذا؟

قد هربت.

تاااااك ... لطمة على وجه الرجل هزت رأسه من سليزر، ثم صرخ قائلًا:

أيها النساء، كيف تفر وأنتم موجودات هنا أيتها النسوة الكسالى.

قالها وصمت برهة، وأضاف:

انطلقوا خلفها وأحضروها الآن.

قالها للرجل، الذى ما لبث أن انطلق من أمامه، إلى حيث جنوده، الذين أمرهم باتباعها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تواصل إيرينا الجرى وسط الغابة باحثة عن أحدهم.. ترى ذلك الكوخ من بعيد، فتذهب حيث هو..

تقف على الباب وتدقه بسلامتيها.

من؟

جاءها الصوت الأجش من الداخل.. إنه رجل هذا ما تمنته!

ايرينا ماك.

تقولها مجيبة الرجل، الذى يفتح ببطء غير مصدق.. الأميرة إيرينا تدق بابه فى تلك الساعة؟!

يراها فيبتسم، ويزيح المزلاج تمامًا ويفسح لها مكانًا لتمر إلى الداخل.

ترمق جنبات الكوخ بعينيها سريعًا باحثة عن رفيق، لكنها لا تجد ما يدل على أن الرجل يعيش معه أحد.. إنه وحيد وبمفرده وهذا هو المطلوب إن الامور يسيرة بالفعل وتسير على خير ما يرام..

ينظر إليها وهى ترمق الجنبات، فيضيف:

إن الكوخ ليس على ما يرام الآن، لأن كولى زوجتى أخذت ابنها ورحلت إلى والدتها منذ أسبوع، وسوف تأتى وتنظفه بعد غد.

ابتسمت هى بتفهم، فأضاف هو:

- يبدو أنك مرهقة وأن مجهودًا شاقًّا قد بذلتيه.. سوف أنهض وأحضر لك بعض النبيذ.. إنه رخيص فعلًا لكنه يقضى الغرض كذلك

قالها ونهض وفى نفسه مائة ألف تساؤل عن مجيئها، لكنه أسر ذلك فى نفسه ولم ينبس ببنت شفة.

فى ذلك الوقت كانت هى ترمق جنبات الكوخ حتى وقعت عيناها على السيف الصدئ الملقى بإهمال فى ركن الكوخ.. نهضت هى فى خفة وحملته بمرونة من تعود على ذلك، وتوارت فى الركن خلف الحائط اللبن.

لحظات وخرج الرجل وهو يترنح حاملًا زجاجة من النبيذ رديئة الشكل وكوب متسخ ويبتسم فاغرًا فاه مظهرًا فمًا سقط الكثير من أسنانه.

ما إن خرج حتى باغتته بضربة قوية من السيف على أم رأسه فحطمت عظام رقبته وأردته قتيلًا فى الحال وبدأت حوله بقعة من الدم تتسع وتهشمت جواره الزجاجة.

ضربة أخرى لن تضر حتى تتأكد تراااك.ثم أخذت تجره إلى حيث جوادها.

رفعته بكل قوتها من كتفيه تارة ومن قدميه تارة حتى استقر على ظهر الجواد، وانطلقت به إلى حيث القبر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى ذلك التوقيت كان سليزر قد أخذ بعض جنوده وانطلق خلف أخته إيرينا حدثه أبوه أن لا، لكنه فعل.. حدثه أبوه أنها أخته مهما حدث، لكنه انطلق خلفها وداخله نار ستحرقها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إيرينا تصل إلى القبر، تلهث.. الرياح تلفحها، المطر ينهمر من السماء بقسوة.. تحارب الوقت والجو..

بصعوبة تجر الجثمان وتسقطه على الأرض، وبصعوبة تجره حتى تسقطه فى الحفرة..

يدوى صوت الرعد هازًّا الكون بأثره، يتبعه ضوء البرق الذى ينير الكون ويجعلنا نرى ما الذى تفعله إيرى جيدًا وبوضوح.

تخرج سكينًا حف جانبيه، وتجرح كفها بقسوة وتجعل قطرات دمها تتساقط على الجثمان!

تمسك الرفش وبتثاقل ترفعه كى تغطى الجثمان بالثرى.. مرة مرتين ثلاث.. لقد أنهت المهمة أخيرًا.

ويدوى صوت الرعد مرة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى هذه اللحظات تسمع صوت الحوافر..

لقد علموا أين هى.. لقد أبلغهم أحدهم..

لم تدر ما الذى تفعله، أمسكت بجوادها، وصعدت فوقه، وركلته بين ضلوعه، وانطلق يعدو بين الشجر.

بطنها تؤلمها.. تضع يدها عليها فى تألم، و الألم شديد هذه المرة.

الجواد يلهث وينفث بدوره كأنه يشعر بمن يمتطيه.

أما عنهم فقد مروا على القبر، واقتربوا منها..

تشعر بدوار، وغثيان، ثم يدور الكون بها وتسقط من على الفرس تلهث.. وتقىء.

تتحامل على نفسها وتسير ببطء ثم تركض والألم يشق بطنها.. تصل إلى المنحدر.. لن تفر منهم سوف يلحقون بها ووقتها لن يكون هنالك مفر من سليزر إنها تعرفه جيدًا وتعرف حقده عليها فأباها يحبها أكثر..

لا تكونى بلهاء أيتها الفتاة فهذه فرصتك الوحيدة للنجاة.. أما الآن وأما للأبد.. جو الفجر يغلف كل شىء، ذلك الضوء الملقى على الموجودات مصدره القمر، المشهد كله كابوس فحسب، نظرت إلى الخلف فلمحت خيولهم، نظرت إلى الأمام حيث المنحدر.. نرى خيط الدماء الخفيف الذى يتدفق منها.

تقف على الحافة تنظر إليهم، كأنها تنتظرهم.

لحظات والجمع يصل بالخيول.. يقفون، ويهبط سليزر ويتقدم ناحيتها بتؤدة والغضب والشر يتطاير من عينيه.

تنظر إليه فى شفقة، ثم تترك نفسها للريح. وتسقط إلى أسفل وسط ذهول الجميع!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خيانة

لقد تخلوا عنا أيها الرجل.. الإنجليز قد خانونا.

قالها سليزر لأبيه ماك الذى ابتسم بتؤدة وبسخرية، ثم أضاف:

لم يخونوا أحدًا نحن من خان يا سيلز.. نحن من خان يا ولدى.. سوف يقضون علينا ويسلبون ما منحوه.

يدخل شاب فى مقتبل العمر القاعة، وهو يصرخ مبلغًا إياهم أن الإنجليز على مشارف القلعة.

يستدير سليزر صارخًا فى الفتى أن اخرس أيها الجندى.. يتحدث الأب بفم هازئ بكل ما يدور حوله كأنما كان ينتظره.

فر بجندك يا بنى، واتركنى أموت وحدى.

يلتفت إليه سليزر، وهو يصرخ فيه هو الآخر.

يهرع الشاب إلى الخارج ويصعد الدرج وينظر إلى الأفق وهو يضع يديه على مقدمة رأسة كى تقيه الشمس فيرى الجيش الإنجليزى يتقدم زاحفًا نحو القلعة.

يترك مكانه ويهبط مرة أخرى إلى حيث الملك وابنه.

هنا يرى مشهدًا لا يمكنه أن ينساه مهما حدث.

يرى الابن سليزر منقضًّا على عنق أبيه ليخنقه حابسًا الهواء تنتفخ أوردة الأب.

يلتفت ببطء ناظرًا إلى الفتى الذى يكاد يبكى من هول ما يرى.

ثم يفر من الغرفة ودمه كله غادر جسده.

ويموت الأب بيد ولده. الذى أخذ يلهث، ثم يركض ناحية باب الغرفة، ويقول بصوت مرتفع: « الأب مات » الآن أنا قائد الجيوش كلها.

يقولها ونرى الفتى يقف مرتديًا خوذة ويرتعد ويغمض عينيه.

يفتحهما فيرى سليزر يحدق فيه. يرتعد الفتى وتنهمر دموعه رغمًا عنه، يبتسم سليزر ويضع يده على كتفه كى يهدئ من روعه، ويضيف متسائلًا:

أرأيت شيئًا ويلى؟

يهز الفتى رأسه نافيًا. فيبتسم سليزر مرة أخرى ويتركه ميتًا فى جلده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تهب الريح من جديد فيتحسس سليزر مقبض سيفه.. الآن الإنجليز يحيطون بالقلعة.

صرخ صرخة مذعورة قلقلة، ورفع سيفه وانطلق يعدو متجهًا إلى جيش الإنجليز

والتحم الجيشان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السادس

يلتقط فرايزر أنفاسه، ثم يكمل قصته قائلًا:

وهكذا قاتل سليزر قتالًا شرسًا حتى حاصره جنود الإنجليز وقتلوه شر قتله وحزوا عنقه حزًّا. ومرت السنين وتم مصادرة جميع الممتلكات، والثياب وغيرها.

أما الفارس مليجرو فينهض بكامل جسده كل يوم ويضرب الأعناق ويقطع الرقاب، ويقولون إنه رأى الشيطان يضحك بعدها وهو يقول الآتى « أخرج من جيوب سترته قطعة من الورق وبدأ يقرأ ما فيها »:

« لقد خدمتك، سأنتقم من كل من يمر بقبرى ويذكر قصتها أو قصتى وكيف كان مماتى وممات عشيقتى.. الجبال ستنسف والبحار سوف تفور والشمس ستبتلعها الأرض والأرض سوف تنشق ليخرج من بطنها الفارس قادمًا من جهنم، وخدمتنى، بعتنى روحك وباعتنى روحها. أما الشيطان فيقولون إنه أجابه بقوله:

« لن تموتا فأنت لن تبرح القبر، وهى لن تبرح اللوح، لن يحدث الإ إذا اجتمعتما فى قبر واحد ».

فرغ فرايزر من حكايته، وكنا قد وصلنا إلى حيث قبر الفارس ميلجرو الذى سمعنا قصته، توقف السائق وتوقفت الحافلة بدورها، وغادرناها، وبدأنا فى التجول حول القبور.. ورأينا القبر المنفرد.. قبرًا وحيدًا يحتل بقعة من الأرض وحده ذو شاهد مرتفع.

فرد فرايزر ذراعه مشيرًا إلى حيث القبر، وبدأنا نسير نحوه.

أنت تعلم ذلك النوع من الرحلات الاستكشافية ثنائيات تجتمع مع بعضها البعض يهمهمون بالحديث فى أى شىء.

هكذا كانت الرحلة بالفعل. ثنائيات عشر أفراد مزيج بين السيدات والسادة الفتيات والفتيان.

دنت منى ماليت هالبروج تلك الفتاة ذات الأصول التركية بحجابها الرقيق الأبيض، وخصلات شعرها الناعم المتسللة من الحجاب رغمًا عنها. وأضافت فى خجل:

- أنا أعشق مصر حقًّا.

نظرت إليها وارتديت قبعة مثل البروفيسور زاهى حواس، وابتسمت ولم أضف كلمة واحدة.

نظرت إلى وأردفت ولم تفارقها ابتسامتها الرقيقة:

- أنت إنسان مهذب أستاذ إبراهيم.. هل زرت تركيا من قبل؟

دون أن ألتفت إليها أضفت:

- الحقيقة لا.. لم؟

- فقط أتساءل.

قالتها وابتسمنا، ثم أكملنا رحلتنا ونحن نتبادل الكلمات القليلة حتى حل الظلام، وعدنا إلى الفندق مرة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى غرفتى جلست وفرايزر على فراشنا، نتحدث عما شاهدناه فى ذلك اليوم « حقيقة بلادكم رائعة ».

قلتها فانتفض جالسًا على مقدمة فراشه، وسألنى قائلًا:

- أنت مبهور بأسكتلندا جدًّا.. ماذا عن بلادكم؟ أنا أعلم أن بها الأحرامات وأبو الحول وحرم شخارة!

ما كل هذه البذاءات؟! أنت وتلك التركية ماليت؟!!

حقيقة لا يوجد فى بلادى كل ما قلته أنت وهى إلا إذا كنتم تقصدون أبو الهول والأهرامات وهرم سقارة والمعابد التى أعرفها فيلة وغيرها.

- نعم نعم.. وهذا ما قلته.

قالها بتعجب كأننى لا أفهم اللغة العربية، وأضاف:

- وبرج القاهرة.. وكذا النيل.. و.

قاطعته، وقد سئمت ذلك الحديث:

- نعم نعم لدينا كل هذه العجائب فنحن بلد العجائب.

قلتها وصمت قاطعًا حديثنا هذا.

مرت دقيقة صمت وأنا أنظر إلى سماء الغرفة، وهو يتناول سيجارة فى نهم وأضفت متسائلًا:

- القصة التى ذكرتها هذه هل هى حقيقية؟

نظر لى وابتسم ونفث دخان لفافته فى الهواء ثم:

- ماذا؟ هل خفت؟

نهضت بدورى وجلست على فراشى مثله، وقلت وأنا أتحاشى النظر الى عينيه:

- حقيقة لا أدرى لكن إن كانت حقيقية، فهل فكرتم جيدًا قبل أن نذهب إلى هناك أو قبل أن تحكى لنا قصته وتفضح أمره؟

فربما تحدث أحدنا بسخرية عليه أو عن حبيبته أو عن قصته ككل رغمًا عنه، و هنا قاطعنى قائلًا:

- فارس دونفيجان هذا أسطورة.. كأى أسطورة يا إبراهيم فقط هى توغلت فى تراث أسكتلندا فى عدة قرى.

- والقبر؟!

نظر لى، ونهض وأخذ نفثًا آخر وأضاف وكأنه لم يتأت فى ذهنه هذا من قبل:

- حقيقة لا أعلم قبر من هذا.. لكن ما أعلمه هو أنه أسطورة.. وله ما يعادله فى تراث البلدان الأخرى كأسطورة بلاد القوقاز أو الشيشان القديمة. أسطورة الأميرة نارتسانة!

- ماذا؟

نفث من منخريه مرة أخرى، وجلس على مقعد مقابل تحت نافذة مفتوحة، وأضاف:

- أمن عادتك النوم باكر أم أقص عليك؟

نظرت إليه وأضفت:

- قص أنا أصغ السمع جيدًا.

ابتسم مرة أخرى، وبدأ يحكى لى عن نارتسانة..

« فى غابر الأزمنة عندما كانت حوافر الخيول تدك الأرض وتهزها لم تكن النساء الشركسيات يتبرجن ويجلسن فى بيوتهن بل كان شأنهن شأن الرجال تمامًا يسرجن الخيول ويحملن الرماح والسيوف اللامعة ويتصدين للأعداء مثلهن مثل الرجال وكان فى وسع النساء الشركسيات ليس فقط تربية شعور أحبائهن بل كان فى مقدورهن أن يُعملن سيوفهن فى صدور الأعداء حتى إنهن كان فى وسعهن أن يحافظن على حبهن مكتومًا فى صدورهن وقلوبهن اتقاء ألسنة السوء بكل تأكيد، ومن الشهيرات.. اقصد من شهيرات

النساء الشركسيات آنذاك الأميرة رائعة الجمال نارتسانة التى خلدت اسمها ملاحم نارت الشركسية.

« كدت أقاطعه كى يفسر لى معنى كلمة شركسى من الأساس، لكنه كان سريع البديهة وعلم من عينى ما الذى أريد معرفته، فأضاف مفسرًا:

- الشركس Circassians هم مجموعة تشمل سكان شمال القوقاز من الشابسوغ، الأديغة، الأباظيون والأبخار والشيشان وغيرهم. كنتيجة للحروب التوسعية التى شنتها الإمبراطورية الروسية فى منطقة القوقاز حيث اضطر الكثير من الشركس وقتها إلى الهجرة إلى الأراضى العثمانية أو إلى روسيا ذاتها.

استقر الشركس الأديغة نظرت إليه فابتسم، وأردف:

أى الشعب المقاتل خارج القفقاس فى بلاد الأردن وسوريا وفلسطين، ومن ديدنهم حمل السلاح والتدرب عليه ذلك بالنسبة للشباب، وقد عرفوا عبر التاريخ بقتالهم إلى جوار جيوش عديدة منها الفرس والروم والبيزنطيين وقبائل أخرى كما أنهم موجودون أيضًا فى مماليك تركيا و.. وبلادكم.. مصر!

الأهم فى ذلك هو قصة تلك الأميرة نارتسانة.. فقد كان فى قلبها حبًّا جمًّا تكتمته فى قلبها لفتى شاب.

طبقًا للأعراف الشركسية وفى إحدى المعارك استطاعت بمدية صغيرة أن تصلب فارسًا فى قلب الأرض كان الشرر يتطاير من عينيها وشعرها الحريرى.

توقفت الأميرة نارتسانة كى تلتقط أنفاسها وتحدق فى الفارس الصريع الذى قتل على يديها وصدر عنها فجأة صرخة أليمة إذ رأت حبيبها الفارس الشركسى وقد صرع على يديها.. « يا إلهى ماذا فعلت يداى؟! »

كان حبيبها مغمض العينين غارقًا فى دمائه. ارتمت على صدر حبيبها تحاول تدفئته كى ينهض أو يعود إلى الحياة.. لكن فات الأوان..

« لقد غابت شمسى »

قالتها صارخة من أعماق اهتزت لها النجوم ثم استلت خنجرها وغمسته فى صدرها وسالت الدماء.. وكانت النهاية.. ووقتها انفجر ينبوع نبيذى.

يقولون إن هذا الينبوع موجود إلى الآن فى بلاد القوقاز ويمكن لأى زائر أن يراه حتى هذه المياه تعبأ إلى الآن وتباع فى زجاجات على أنها مياه معدنية تشفى من الأمراض ويسميها الروس (نارزان).

صمت ونظر إلى، فأضفت:

- هذه القصة فى منتهى الخرافة.. لقد شطح أحدهم بالخيال حقًّا.

نظر لى فرايزر، وأضاف بعد أن ألقى لفافته التى انتهت فى مطفأة مخصصة لذلك، وأضاف:

- وأعتقد أن قصة الفارس هذه مثل تلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السابع

فى الصباح جلسنا فى قاعة الجلوس نثرثر عما حدث أمس، وجلست أنا أطالع جريدة أسكتلندية ما ألقيت على باب حجرتنا أنا وفرايزر، وأنا لا أفقه حرفًا واحدًا أو أفهم حتى عم تتكلم. فقط انبهر بتنسيق العناوين والصور.

حين صاح فى البروفيسور منبهًا إياى أنه يتحدث بصددى، وبصدد ما قلته لفرايزر أن قصة الفارس تلك ملفقة ولا يوجد لها أساس من الصحة، وإننى أتهم البلاد بأكملها بالتلفيق، وأطعن كذلك فى تراثهم الشعبى.. وبعد قليل سوف يخربون بيتى لا محالة.

نظرت لفرايزر، الذى وشى بى نظرة ذات معنى فنظر لى فى بلاهة واضحة، وابتسم.

عاودت النظر إلى البروفيسور، وأضفت:

- حقيقة أنا لم أشك للحظة واحدة فى صحة هذه الأسطورة. فقط هو المبدأ أيها السادة، فالموتى لا يعودون إلى الحياة هكذا يقول لى دينى وعقيدتى.

صمت برهة تذكرت فيها قصتى مع لعنة ساوين، ثم اضفت:

- لقد قابلت موقف مشابه لى مع أشباه زومبى، لكن الأمر كان كما توقعت ليس سوى لعنة ما، على كل حال هذه وجهة نظرى فحسب.

أنهيت كلامى وكان الجميع يحدق فى.. ثوان من الصمت مرت، قطعها البروفيسور قائلا:

- حسنًا هذه وجهة نظر يجب علينا احترامها. عمومًا لدينا يومين ها هنا كى نتأكد من صحة الأسطورة. قبل أن ننتقل إلى لوخ نس. أما الآن فليمرح الجميع كما يحلو له.

قالها ونهض مغادرًا، وغادر خلفه الجميع واحدًا يلو الآخر عدا ماليت التى ظلت جالسة تنظر إلى. بادلتها النظرات، ثم أضفت:

- هذه وجهة نظرى.

- وأنا أحترمها بل أؤيدها كذلك.

قالتها وابتسمت، وانتقلت لتجلس إلى جوارى بقدحها الملىء بالقهوة. وأضافت:

- حقيقة لا أعلم ما الذى يجعلنا ننتظر؟ هل ننتظر أن يظهر لنا الفارس ويقتلنا كى نتأكد من صدق الأسطورة أم ماذا؟

نظرت إليها نظرة تؤيد حديثها، وأضفت:

- أنت على حق وهذا ما أردت قوله أيضًا. لكن هذا هو برنامج الجروب وعلينا الالتزام به أو المغادرة.

رشفت من القدح هى وعدت أنا أطالع الجريدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

راجع العدد الثالث من السلسلة. (ساوين)

جنة الأشباح الاسكتلندية

قصة باحثة شابة

هيلين ألبرت

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل..

لقد هدأت الأمطار المصطدمة بزجاج نافذة السيارة الأجرة التى تستقلها هيلين ألبرت.. لكن العواصف مستمرة.. هيلين البرت تلك الفتاة البيضاء الجميلة رومانية الأصل هى تشعر من الوهلة الأولى أنها بكماء، لا تتحدث مطلقًا، لكن عندما تدنو منها وتعرفها جيدًا تدرك أنها صموتة إلى أبعد الحدود.

لا تعشق أى شىء سوى عملها.. عملها وفقط. تعشق كل جديد على علاقة وطيدة بالإنترنت تلك الشبكة النعكبوتية التى قصرت المسافات بشدة.. وبالطبع الفيس بوك هذا صديقها.. يقولون إن الأطفال الصغار يجب إبعادهم دائمًا عن أجهزة الحاسب الآلى والأجهزة المحمولة، حتى لا يصابوا بالتوحد والصمت. أعتقد أن هيلين البرت تلك مصابة بذلك المرض.

متفوقة فى عملها كباحثة فى الظواهر الفورتية بإحدى جامعات ترانسلفانيا برومانيا.

بدأت فى عمل بحث مطول عن الظواهر الفورتية بجميع أنحاء العالم وكان بعنوان (التراث الفورتى فى جميع البلدان).

بدأت بالمكتبة فلم تجد جديدًا كل مابا لمكتبة قتلته بحثًا منذ سنوات، حتى المكتبة ذاتها لم تأت بجديد، لذا استعانت بصديقها التى عانته لوقت الشدة الشبكة العنكبوتية. وفيس بوك.

بـدأت بالبحث علـى الشبكة العنكبوتية فلـم تجـد صـورًا تؤيـد أو تنفـى الأساطير، ستكتب كلامًا لم تره بأم عينها لم تقتنع.

ملأت ورقتين أو أكثر ثم استعانت بفيس بوك. من هنا و بمواصلة البحث عثرت على جروب مغلق على أعضائه فحسب، يدعى عوالم أخرى.

أعجبها الاسم فطلبت الانضمام، كان ذلك الجروب يهتم بالظواهر والعوالم الما ورائية والميتافيزيقية. علمت أن هذا هو مقصدها.

لـم تنتظر طويـلًا. بـل لـم تنتظر بالمـرة، بمجرد أن طلبت الانضمـام تم القبول، وكأنهم يجلسون فى انتظارها.

دقيقة وظهرت الرسالة.

(جروب عوالم أخرى لحل لغز الألغاز، وسر الأسرار.. إنه المرآة التى تقودك للعالم الآخر، عالم الرعب والغرائب. عالم الأساطير الشعبية التى ولى زمنها، لكنها تحيا فى ألسنة العجائز!)

هذه رسالة إدارية لا شك فيها.

هكذا قالت. أرسلت لهم رغبتها فى الانضمام، وجميع اهتماماتها بالظواهر الفورتية.

فجاءتها رسالة أخرى. وصلتها وكانت ما تنتظرها.

(السيد العضو نرحب جميعًا بك ونود أن نخبرك أننا نرحب بانضمامك إلينا فى أسرع وقت ان كان لديك الموهبة أو الرغبة أو الفضول. فقط اعرب لنا عن رغبتك فى الانضمام وسوف نفعل لأجلك كل شىء، سوف تجوب العالم معنا، سوف تتعرف على العالم وتكتشفه معنا، معنا سوف تعبر إلى داخل المرآة)

أبهرتها الكلمات وطريقة اختيار الكلمات تلك التى تثير شغفك.

لذا ودون تردد أرسلت لهم رسالة توضح فيها أنها بالفعل مهتمة وترغب فى الانضمام.

وجاءها الرد.

- نحن نرحب بك معنا سوف نرسل لك طلبًا عن رغبتك فى الالتحاق، يجب أن تملأه ومن ثم أعد إرساله إلينا موقعًا منك.

ثوان قليلة ووصلتها رسالة توضح أنهم أرسلوا إليها طلب الالتحاق على الإيميل الخاص بها.. بلهفة فتحته وقرأته ومن ثم وقعته، ثم أعادت إرساله مرة أخرى.

وبالفعل أرسلوا اليها التأشيرة فى وقت قياسى وهذا فى حد ذاته كان أمرًا غاية فى الغرابة، لكن نما داخلها إحساس بالمصداقية لذلك الجروب، وشعرت أنها التقطت طرف الخيط الذى ستبدأ منه البحث.

وكان الموعد الأول لها فى لندن مع الدكتور هابلر جيف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منتصف الليل تجلس فى غرفتها بالفندق، لا تحب تلك السيدة التى تدعى كايوت التى جاء نصيبها معها فى ذات الغرفة.

تقول فى نفسها إنها شمطاء عجوز، ما الذى يأتى بعجوز من بلادها إلى هنا، سيظل الركن الاسيوى من العالم يبهرنا بكل ما هو جديد.

تغط تلك السيدة فى ثبات عميق من الثامنة مساءً، كالأطفال، أما هى فتجلس بأعين مفتوحة فى الظلام كالقطط.

تنظر إلى ساعتها أنها الثانية عشر ليلًا، لا زال الوقت مبكرًا.

تنهض وتسير فى الغرفة جيئة وذهابًا، تفتح حاسبها المحمول، تتصفح الإنترنت، وتكتب فى محرك البحث (أدنبرة).

ثوان ويظهر لها خريطة كاملة لمدينة أدنبرة، و تقع عينها على ذلك العنوان. يالها من محظوظة. كيف نسى الفريق ذلك المكان تحديدًا.. تلك البقعة الغامضة فى أدنبرة.. لقد سمعت الكثير عنها بالذات، لكنها نسيت مثلهم، أما الآن فالقدر وحده ذكرها بها، لذا سوف تذهب وحدها إلى هناك وسوف يكون لها السبق كذلك.

ابتسمت فى خبث وقد عزمت أمرها. وقررت المغادرة. إلى هناك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تتسلل هيلين الى الخارج بعد أن حزمت أمتعتها، كشافًا محمولًا زجاجة مياه حبل صاعق كهربى.. هذا كل شىء.

خرجت من الفندق الشبيه بالسجن بحذائها المطاط تغط فى الأوحال والمياه.. الأرض زلقة والأمطار تتساقط بلا هوادة أو رحمة. أوقفت إحدى السيارات الأجرة، وصعدت.

- إلى أين؟

سألها السائق الوقور، فأضافت وهى تعبث بحقيبتها الرياضية:

- الجسر الجنوبى!

_!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

لم يتحدث الرجل فقط أدار محرك السيارة كالمنوم بعد أن نظر لها إلى الخلف ليرى من هذه المعتوهة، ثم أماء برأسه فى تعجب، وأضاف فى همهمة:

- إن كنت تودين ذلك؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل أن نكمل القصة مع هيلين هلموا إلى ها هنا كى أعرفكم بقصة ذلك الجسر، التى تجرأت تلك الفتاة على الذهاب إليه.. هى معتوهة بالفعل كى تفكر فى الذهاب إلى ذلك المكان الملعون.

الجسـر الجنوبـى.. أو كمـا يـدعونـه البعـض بـ (سراديب أدنبرة).. فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وبتأثير من الثورة الصناعية التى بدأت بوادرها بالظهور فى إنجلترا، شهدت مدينة إدنبرة الأسكتلندية توسعًا كبيرًا، بدأ المهاجرون يتدفقون إليها من المدن والأرياف المجاورة وأخذت الأعمال والأنشطة التجارية تزدهر.

ولتسهيل وتسريع هذا التمدد السكانى والتجارى قامت سلطات المدينة ببناء جسرين - معبرين - يربطان بين أجزائها، وهما الجسر الشمالى والجسر الجنوبى

الجسر أو المعبر الجنوبى كان فى الحقيقة أكثر من مجرد جسر؛ لأنك لو نظرت إليه اليوم لما فطنت إلى أنك تمشى فوق جسر، فهو يبدو كشارع طويل تحيط به الأبنية والمتاجر من كل صوب وحدب.

وفى الواقع كان الغرض الرئيسى من بناء هذا الجسر هو إنشاء أول منطقة تجارية فى المدينة آنذاك، فقد خطط مصممو إلى الاستفادة من الفراغات التى تـوفرها أقـواس قنـاطـر الجسر لإنشـاء مخازن وملحقـات للسوق التجارية الجديدة.

بناء الجسر بدأ فى عام 1780 واستمر لقرابة العشرة أعوام، وحين انتهى العمل أخيرًا كانت قناطره التسعة عشر تتضمن قرابة الأربعمائة خزانة وسرداب تتراوح مساحتها من 2 إلى 40 مترًا مربعًا.

لكن على الرغم من كل الجهد الذى بذل فى بنائها إلا أن هذه السراديب لم تنجح أبدًا فيتحقق الغرض الذى أنشئت من أجله، وربما يعود السبب فى ذلك إلى خطأ قاتل وقع فيه مهندسو البناء حين أهملوا إكساء الجدران والأرضيات الحجرية بصورة مناسبة لكى يمنعوا تدفق الرطوبة والماء إلى داخل السراديب، وقد تسبب هذا الخطأ الفادح فى نضح مياه الأمطار مما أدى إلى

تلف البضائع المخزنة داخل السراديب وهو الأمر الذى دفع المستأجرين من التجار إلى ترك المكان الذى أصبح خاويًا ومهجورًا فى عام 1795، أى بعد سنوات قليلة فقط على إنشائه.

وسرعان ما تحولت تلك المتاهة الكبيرة من الأقبية المهجورة تحت المدينة إلى مأوى للمشردين، العديد من عائلات المهاجرين الفقيرة والمعدمة عاشت مع أطفالها فى تلك السراديب فى ظروف صعبة للغاية.

كانت التهوية ضعيفة جدًّا وأشعة الشمس لا تدخل مطلقًا، أنابيب المياه والصرف الصحى كانت معدومة تمامًا، والجدران الحجرية كانت تنضح بالرطوبة باستمرار، كان المكان مظلمًا وباردًا ومخيفًا طوال أيام السنة، لذلك فإضافة إلى المشردين والمعدمين، أصبحت تلك السراديب بالتدريج مرتعًا خصبًا لمواخير العهر والرذيلة ووكرًا للقتلة والسفاحين والمغتصبين.

ولعل أشهر هؤلاء المجرمين الذين عرفتهم السراديب كانا السفاحين بورك وهير اللذان اشتهرا ببيع جثث ضحاياهم للمدارس والكليات الطبية فى عشرينيات القرن التاسع عشر. السجلات التاريخية لم تعد تذكر شيئًا عن السراديب منذ أن تحولت إلى ملجأ للتشرد والرذيلة والإجرام، ولهذا السبب فالباحثين لا يعلمون على وجه الدقة متى تم إغلاقها نهائيًّا، لكن من المرجح أن ذلك حدث فى وقت ما بين عامى 1835 - 1875، حيث تم ضخ مئات الأطنان من الصخور وأحجار الكلس إلى داخل السراديب مما جعل الولوج إليها مستحيلًا، وسرعان ما طواها النسيان ولم يعد الناس يذكرون شيئًا عنها.

فى عام 1980 تم اكتشاف هذه السراديب عن طريق الصدفة، واستمر التنقيب فيها إلى تسعينيات القرن المنصرم حيث تم تنظيفها تمامًا وسمح للزوار بدخولها، ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه السراديب واحدة من أكثر الأماكن جذبًا للسياح فى العاصمة الأسكتلندية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نعود الآن إلى تلك الفتاة هيلين حيث توقفت السيارة التى تقلها وترجلت إلى الخارج.

لا يوجد من البشر إلا المعاتيه الذين يفعلون ذلك أو حتى يأتون إلى هنا ليلًا لذا نجدها تسير بمفردها تقريبًا على الجسر تسير على طرفه تمامًا ضامة معطفها كى يقيها البرد والمطر.

منتصف الجسر انعطفت إلى اليمين وبدأت فى النزول. حقيقة لم يرها هذا الشرطى، لأنه كان واضعًا (الهاند فرى) فى أذنيه فلم يسمع صوت خطواتها هذا أولا وثانيًا هو أن الضوء واهنًا بالفعل فى تلك المنطقة.

سراديب أدنبرة.. سوف تقص عليهم صباحًا أنها كانت هنا وحدها، لقد فعلتها وحدها.

سـراديب أدنبـرة التـى كـانت ولا زالت جـــزءًا مــن التــراث الأسكتلنـــدى المرعـب. يالها من تجربة.

أضواء واهنة آتية من لا مكان.. أضاءت كشافها الصغير كى تبدد من الظلام شيئًا، لكن ذلك لم يحدث.

الرائحة العطنة من فرط قلة التهوية بدأت تخنقها.

العرق يتسلل كالأفعى على جلدها خلف الثياب تحاول حك جلدها فتسقط الحقيبة، تطلق سبة بذيئة.

هنا تسمع صوت الصهيل البعيد! تتوقف للحظة ثم تنحنى لتلتقط الحقيبة، وتكمل رحلتها الاستكشافية.

ثم تبدأ الخطوات!!!

هل تتخيل سماع خطوات وأصوات غامضة؟

هل ترتجف؟

هل قلبها يدق بلا هوادة؟

تمسح العرق عن عينيها، وتلتفت إلى الخلف لترى صاحب الخطوات، فتراه!

أنه هو؟!

كما وصفوه حقًّا!

أطلقت زفيرًا ثقيلًا، وكادت أن تبكى، لكنها تحاملت على نفسها والتفتت وبدأ فى الركض. الركض وبكل قوة.

سقطت منها الحقيبة مرة أخرى، توقفت للحظة لتلتقطها، لكنها رأته يتبعها، صرخت، وتركتها وأكملت ركضها..

لوهلة أفلتت وسقطت الدموع من عينيها عندما أحست أنها لن تنجو من ذلك الكائن حيث وجدت نفسها أمام حائط حجرى يعلن لها عن انتهاء الطريق.

التفتت وأسندت ظهرها عليه، وأخذت تبكى.

ظلاله تدنو منها، لقد حان الوقت إذن. تفتح عينيها وسط البكاء لترى ظل يده يرتفع ممسكًا بسيف، تغمضها مرة أخرى، فيترك هو سيفه ليهبط على رقبتها فاصلًا إياها عن جسدها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الثامن

يدوى صوت سيارات الإسعاف فى كل مكان فوق الجسر الجنوبى، لا يجب أن يكون لديك من الذكاء الكثير كى تعرف أن هذه حادثة كبيرة. والأمر شديد الخطورة كذلك.

أربع من الممرضين والممرضات يجرون المحفة البيضاء ويشقون بها الجمع المجتمع من بعض الفضوليين مع بعض رجال الشرطة.

لقد اكتشف الشرطى المكلف بالحراسة فى أسفل الأنفاق الحادث، أثناء مروره واضعًا سماعة الأذن وهو يدندن لحنًا ما، رأى خيط الدماء!

تتبعه فعثر على الجثة.. جثة فتاة بلا رأس، رأسها غادرت الجسد وجلست فى الركن فى هدوء.

عندها فرغ فاه ونزع السماعات عن أذنيه، وبدأ فى الاتصال بالشرطة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يعرف أحد فينا بنبأ الوفاة إلا فى الرابعة صباحًا.. وهكذا أصبح الفندق كخلية النحل.

نهضت أنا على صوت فرايزر وهو يصرخ فى كى يوقظنى ويهز جسدى ويرجه رجًّا..

يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم.

لقد قتلت هيلين أيها الرجل لقد قتلها الفارس.

استغرقت دقيقة كاملة كى أعرف من هذا الرجل الذى يحدثنى.. واستغرقت دقيقة أخرى كى أعرف عمن يتحدث.. ودقيقة أخرى حتى أعرف أين أنا.

نهضت بنامتى وهبطت الدرج لأجد البروفيسور يقف بعينيه المنتفختين وسط اللوبى الخاص بالفندق وأمامه شرطيين. يعرضا عليه جواز السفر الخاص بهيلين وحاجياتها

نعم إنها هيلين أعرفها هى واحدة من أفراد البعثة.

قالها البروفيسور فى آسى.

وهو يعيد إليهم الجواز مرة أخرى، ثم أضاف متسائلًا:

- أين؟

نظر له أحد الشرطيين وأضاف مبادلًا إياه الآسى:

- هناك فى الجسر الجنوبى.. عند سراديب أدنبرة.

رفع البروفيسور رأسه متعجبًا ومندهشًا، ثم:

- هذه الفتاة كانت حمقاء حقًّا.. كيف تذهب إلى هناك وحدها فى ذلك التوقيت؟!

- ربما كانت؟

- لا.. هى حمقاء لا يوجد ما يبرر فعلتها أيها الشرطى.

قالها مقاطعًا الشرطى، الذى نظر إلى صديقه، ودون كلمة أخرى انصرفا بعد أن شكرا الرجل.

وهكذا ماتت هيلين.. ذهبت بلا رجعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هناك لوبى فى الفندق

حكاية الرجل العصبى

جون فالكربك

جلس جون فالكريك وهو شخص عصبى قصير حليق الذقن والرأس وكذلك عالم تشيكى متخصص فى الباراسيكولوجى، وباحث ميدانى.

منذ الوهلة الأولى وهو يمقت ذلك المصرى إبراهيم.. لما؟

ببساطة لأن تلك الفتاة التركية ماليت تميل اليه وتتبعه. هو يفضلها وهى تفضل المصرى الأصلع البدين يا لها من متخلفة شمطاء.

ليت الفارس يسرع الخطى إليه ويحصد رأسه..

جلس فى غرفته بعد الحادث يطالع بعض الأخبار فى الحاسب الآلى المحمول، بينما جلس الفتى الياندو مرهف الحس يدندن أغنية ملول واضعًا يديه على خديه فى الشرفة. حين أضاف قائلًا دون أن يلتفت إليه:

- هل تصدق قصة الفارس هذه ياجوو؟

نظر له جون فى تقزز ولم يعره اهتمامًا. فأردف:

- أنا لا أصدقها.. لا أعلم لما.. لكننى كذلك.. على الرغم من مقتل تلك الفتاة الحمقاء هيلين التى غامرت بحياتها.. لكن من أدرانا أن سبب مقتلها هو الفارس؟ أليس كذلك يا جوو؟

- ..... لا رد.

- نعم.. هو كذلك.. إنها حمقاء لذا قُتلت.. لا بد أنها.

- هل من الممكن أن تصمت أيها الشاب إذا سمحت؟

قالها جون مخرسًا الفتى، الذى احمر خداه الاثنان وصارا كالطماطم الطازجة. فخرس بالفعل وعاد يرمق الأفق فى سكون. ويتمتم: يا له من وقح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست ماليت فى غرفتها تداعب خصلات شعرها، وتنظر إلى المرآة فى حين أمسكت بيلت أبوود تلك الفتاة ذات الشعر القصير والعوينات القلم الرصاص وأخذت ترسم لوحة تخيلية للفارس. « على مايبدو انها موهوبة ».

بعد أن انتهت منها رفعتها إلى أعلى وطرقعت بإصبعها معلنة عن روعتها، نظرت ماليت إليها وقالت:

- أرينى إياها.

قالتها وهى تلوح بيديها. فناولتها اللوحة وهى تضيف:

- ها هو أنه هو يبدو كذلك أليس صحيحًا؟

تناولتها منها ماليت، وتأملتها قليلًا، ثم أضافت:

- رائعة بالفعل. لكن هل؟. هل من الممكن أن أطلب منك طلبًا؟

- أكيد ماليت أكيد.

قالتها بيلت، وهمت أن تضيف شيئًا لولا أن قاطعتها ماليت:

- لكن ليكن سرًّا. ولا تطلعى عليه أحدًا.

- لقد.

- مرة أخرى قاطعتها:

- عدينى؟

- أعدك.

- حسنًا أريد منك أن ترسمى لى أحدًا ما.

نظرت بيلت إليها وأضافت بخبث واضح:

- إبراهيم أليس كذلك.

قالتها، وانفجرت ضاحكة!

- .....

لم تعلق ماليت. فقط تعجبت من افتضاح أمرها. ثوان وأضافت:

- كيف عرفت؟

نظرت إليها بليت وأضافت:

- اهتمامك به جلى يا بنيتى.. إذًا لقد لاحظ ذلك الجميع؟

- بالتأكيد.

قالتها بيلت وانفجرت ضاحكة مرة أخرى.

نظرت إليها ماليت وأضافت وهى تهيم بى:

- إنه رجل.. مصرى.. تطل منه الشهامة والنخوة والرجولة.. ثم إنه والأهم من كل ما سبق مثقف ويعلم ما عليه فعله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت أنا فى ذلك الوقت قد خرجت من الفندق مع فرايزر وأخذت أتجول معه كما علمتم مسبقًا وكما حكيت لكم فى البداية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أعتقد أن معظم ما يقال هنا خرافات لا أصل لها من الصحة.

قالها الياندو. لجون، الذى فرغ من تصفح الأخبار والجرائد، فانتبه إليه وأضاف:

- ماذا تريد أيها المخنث؟! ألم أقل لك أن تخرس إلى الأبد؟

قالها بفظاظة وقلة أدب واضحة، وسط تعجب واندهاش من الياندو الذى لم يدر ما الذى يفعله، سوى أن صرخ بصوت مبحوح كأنه خرج من كتكوت:

- يالك من وقح عديم الأدب.

قالها فنهض جون، وقد انتفخ شدقه وسال الزبد من فيه، فارتعدت أوصال الفتى وهم أن يفعل شيئًا، لولا أن باغته جون بلكمة فى فكه أودت بأسنانه كلها إلى حلقه. بالإضافة إلى الدم الذى سال منه كالنافورة كأن كيسًا مليئًا بالدماء قد انفجر داخله.

أخذ الياندو يسعل ويتأوه ويسعل ويتأوه، ثم يصرخ.. هنا لم ينتظر جون وأخذ بعضه وانصرف تاركًا الفندق.

دقائق وخرج الياندو إلى حيث غرفة البروفيسور.. وأخذ يتأوه أمامه والدماء تسيل منه.

- من فعل هذا؟

قالها البروفيسور إليه وهو يحاول معرفة مصدر تلك الدماء، ثم أخذ ينادى على فرايزر، الذى لم يكن موجودًا لأنه باختصار كان معى نسير فى الطرقات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على باب الحانة وقف جون يقرأ اللافتة بتلعثم، ثم دلف حيث الموسيقى الصاخبة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- سوف تستمتع بحق هنا يا إبرااا.

قالها لى فرايزر مختصرًا اسمى فنظرت له فى ود وأضفت:

- أنا لا أحب جو الحانات هذا يا (فرايزر) أن سمحت خاصة بعد ذلك الحادث المروع، فلنقضى سهرتنا بالخارج، انا لم آتِ لكم قاطعًا كل تلك المسافة من مصر إلى هنا كى أرتكب الفواحش وأنا بحق ليس عندى استعداد فى دخول جهنم بسببك.

لم يعلق على دعابتى، فقط وضع كأسه الفارغة على المنضدة بضيق ثم صفع المنضدة بيديه الغليظتين وصرخ مناديًا على الساقى (ذلك الرجل لن تعرف حقًّا أن كان يشعر بحنق تجاهك أم أن هذه هى تصرفاته الطبيعية) أتى الساقى فناوله بضعة جنيهات أسترلينية، وهب ناهضًا معلنًا لى أن وقت المغادرة قد حان.

فى تلك اللحظات دلف إلى الحانة ذلك الفتى العصبى جون الذى بدا لى منذ الوهلة الأولى يمقتنى. نظرت إلى فرايزر ونبهته لوجوده، لكنه لم يعره اهتمامًا، وأضاف:

- اتركه وشأنه. ولنخرج نحن من هنا.

خرجنا من الحانة الصاخبة، إلى الطريق الزلق بفعل الأمطار، تثاءبت واضعًا يدى على فاهى، فأضاف هو والبخار يتصاعد من فمه:

- لقد حان وقت نومك كما هو جلى لى؟

نظرت إليه بعين دامعة، وأضفت بأسنان تصطك ببعضها البعض من فرط البرودة:

- أعتقد هذا، إن لم يكن جو بلدك هذه يساعد على النوم فى كل حين. البرد هنا قارص بالفعل يا فرايزر..والنهار قصير.

سوف نعود الآن الى الفندق، قد مر يومين حتى الآن ولم يحدث شىء أيها الرجل لابد وأنكم تختلقون تلك القصص.

- وموت هيلين ليس شيئًا أيها الرجل؟

قالها ثم ضربنى بيديه على كتفى ضربة أسقطت قلبى فى قدمى، وأخذ يقهقه كأننى قلت له مزحة، ثم أضاف ضاحكًا:

- يكفى أنك تحيا الآن فى أدنبرة أيها الوغد.. غدا سوف يكون حافلًا، فسوف نذهب إلى الطرف الجنوبى من المدينة القديمة بأدنبرة.حيث شارع تشامبرز.. هنالك ستجد الكثير من المعالم التى تستطيع تصويرها بكاميرتك تلك، ثم ترفعها على فيس بوك. سوف ترى الكثير من المتاحف.. وكذا سترى الكلية القديمة.

- حسنًا يا فرايزر أنا لا أريد التجوال، لقد تجولت بما يكفى اليوم وأعتقد أن موعد النوم قد حان.

- أتنام باكرًا هكذا يارجل؟

- نعم أفعل.

قلتها ثم أشرت مضيفًا:

- أنا لا أحفظ أسماء الشوارع، قلتها بعد أن وصلنا إلى حيث الفندق الذى نزلنا فيه، وأضفت:

- لو تركتنى وحدى لفقدتمونى صدقنى أن اسكتلندا بها 548878787 قلعة، كلها تشبه بعضها البعض حتى الشوارع واحدة، حتى المقابر. صفعنى على ظهرى وسبنى وهو يقهقه. مهذب هو فرايزر حقًّا أخلاقه تنم عن تربية لا بأس بها أبدًا.ثم دلفنا إلى الفندق حييت المدير الذى كان جالسًا يشاهد التلفاز ويرشف من كوب ساخن، ويرتدى معطفًا ثقيلًا جدًّا باهظ الثمن، دنوت من موظفة الاستقبال الرفيعة، لكنها للحق رائعة الجمال، نظرت الى فرايز، فوجدته ينظر لها بسماجة، دون أن يحرك ساكنًا، صحيح فهو يحيا فى بلد كل فتاياتها يضيئون كالشموس، فكيف سيلقى لهذه بالًا.

ابتسمت فى مجاملة، فابتسمت بدورها، وناولتنى مفتاح الغرفة الخاص بنا، وهزت رأسها مرة أخرى بذات الود. هززت رأسى مبادلًا إياها التحية، ثم صعدنا إلى الغرفة.

ونحن على الدرج انفتح باب الغرفة الخاصة بالبروفيسور، وخرج منه وقد اشتد غضبًا، وأضاف صارخًا:

- أين كنتما؟ لقد حدثت كارثة؟!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالطبع كانت الكارثة هى مشاجرة الفتيين مع بعضهما البعض.

وجلس يحكى لنا ما حدث وما قرأتموه أنتم منذ قليل، وإلى جانبه جلس الفتى المسكين وقد وضع فى فمه نصف كيلوجرامات من القطن الطبى مع الشاش، فمنعه ذلك من الحديث، فأخذ يشير إلينا وهو يهمهم بأشياء لا معنى لها سوى لديه هو فقط.

ثوان ووجدت فرايزر يلكزنى، هذا لأننى نمت. استأذنت منهم وذهبت إلى غرفتى وإلى أسفل البطاطين دخلت وغبت فى سبات عميق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قهقه جون وهو يمسك بكوب الخمر ويرفعه فى الهواء ليتناثر أكثره على البار، وصرخ قائلًا للاشىء:

- عيد ميلادى اليوم أيها السادة.. أنا ولدت اليوم.. جون فالكريك.

قالها فلم يعره أحد اهتمامًا إلا تلك الفتاة التى سارت وهى تتبختر وتتمايل بكأسها الفارغ، حتى وصلت إليه واحتضنته من الخلف، فاستدار إليها وأخذها بين أحضانه وقبلها، وصاح مرة أخرى:

- يوم مولدى أيها الجرذان.

لقد أذهب الخمر عقله على ما اعتقد وفقد صوابه وبدأ يشتم ويسب فى الخلق.

أطلق سبابًا بما يكفى لإغراق الجميع ثم أخذ الفتاة وانصرف مغادرًا الحانة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أوقف سيارة أجرة واستقلها هو والفتاة، وأخبر السائق بوجهته.. فانطلق الرجل ينهب الطرقات.

يحول تقبيل الفتاة فتمىء برأسها لتبتعد عنه فى خجل مصطنع.. فيبتسم هو ابتسامة مصطنعة هو الآخر.. يرمقهما السائق فى المرآة ويعود بنظره إلى الأمام ليرمق الطرقات.. الطريق خالٍ تمامًا وذلق أيضًا.. المطر ينهمر مرة أخرى..

طريق الفندق واحد فقط سيعبر ذلك الطريق ثم يأخذ المنعطف القادم وبعدها.

هنا وجد السائق ذلك الحصان يقطع عليه الطريق.

توقف بالسيارة بعد أن ضغط على المكابح.. وأطلق سارينته كى يزيحه عن الطريق، لكنه لم يتزحزح..!

أطلق جون سبة بذيئة واضاف وهو يشير بيديه تجاه الحصان ويغادر السيارة:

- أوقف المحرك اللعين، وسوف أرى من الأحمق الذى ترك الحصان هكذا وسط الطريق؟

ترجل ناحية الفرس، فلاحظ أنه ليس وحده، هنالك من يقف الى جواره تمامًا!

توجه إليه وهو لا يزال ينعته بأقذع السباب، ثم توقف وحملق أمامه مشدوهًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ السائق يرقب ما يحدث هو والفتاة التى ذهب الخمر بعقلها مثل جون

تضحك كالمخبولة وهى لا ترى شيئًا من الأساس، أما السائق فينهرها بلطف، ثم يعود بنظره ليرقب ما يحدث..

جون يقف ينظر إلى الفارس الذى ذاب وجهه فى الظلام، ثم يسبه مرارًا!

ينظر السائق إلى جون الذى يسب الرجل وكأنه يعرفه!

وفى لحظة ما ارتفع سيفًا فى الهواء وهبط سريعًا وشق جون إلى نصفين!

الفتاة تضحك أكثر والسائق يرتعد، ويسبها بصوت مرتجف، ويسب العالم بأثره، يغلق زجاج النافذة ويضغط زر التأمين فى لوحة القيادة.. ثم يبحث بقدمه عن دواسة البنزين كأنه يتعلم القيادة وهذه أول مرة له.. يدعس الدواسة والعرق يتصبب منه..، وينطلق بالسيارة إلى الخلف دون أن ينتظر لحظة أخرى.

يرتطم بمتسكع فيطير ويتكوم إلى جوار الحائط وتطير معه بعد سلال القمامة، يدير عجلة القيادة، وينطلق إلى الأمام بالسيارة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا جاءت الشرطة ووجدوا الجثة.. أقصد ما تبقى منها.. جون قد صار أقرب إلى شريحتى طوال من اللحم..

فى زقاق خلفى للفندق وجدها المتسكع الذى أطارته السيارة وكومته على الجدار.

لكن من قتله؟.. بالطبع ألصقت التهمة فى صاحب السيارة، والفتاة.. هكذا بدأ البوليس تحرياته فى كل مكان عنهما.

لكننا نحن كنا نعرف.. ومن الجلى لكم أيضًا، أننا لن نخبر الشرطة، حتى لا يتهموننا فى قوانا العقلية أو حتى لا نقع فى مصيدة الشكوك والاستجوابات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لأنها لا تعرف شيئًا

حكاية فتاة اللوبى

كوديا سلفادور

بالطبع دب القلق والرعب فى معظم أفراد البعثة بعد ما حدث.

الآن نرى السيدة كايوت التى تعقص شعرها الأسود بطريقة رائعة، تجلس فى غرفة الفتاتين ماليت و بيلت أبوود، حيث تركت غرفتها بعدما حدث ما حدث لصاحبتها الرومانية هيلين.. تجلس على مقعد متحرك تأكل اظفارها، بينما تتحدث الفتاتان.

- لابد أنه هو الفارس.. فارس دونفيجان، لقد قتل الفتاة ثم قتل جون.

- إذًا الدور علينا جميعًا.. ألاتذكرين ما قاله فرايزر عن أسطورته؟

هنا صرخت كايوت فى رعب:

- ياللهول!.. لا تقولا هذا..

نظرت إليها الفتاتان، ثم أضافت بيلت أبوود:

- هذا هو التفسير الوحيد لما يحدث.. لا تقنعيننى بوجود سفاح مثلًا وقد ظهر فى هذا التوقيت بالتحديد.

نظرت كايوت إلى ماليت نظرة اللاجئ، فأماءت الأخيرة برأسها، وأضافت:

- أرجو أن تكون خاطئة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أما عنى فكنت أتجول فى حديقة الفندق أفكر، وأركل الحصى.

حين رأيت الضوء القادم من غرفة الفتيات.. فخمنت أنهن يتباحثن الأمور ويبحثن عن تفسير كذلك، ولهن كل الحق.

جلست على أحد المقاعد المخصصة للجلوس المصنوعة من الخشب. وأخذت أرمق الأفق.

أشعلت لفافة من التبغ، حين رأيت تلك الفتاة الجميلة كوديا فتاة اللوبى.

ابتسمت لها فابتسمت لى بدورها، وأخذت تدنو منى.

جلست إلى جوارى على المقعد،دون كلمة واحدة.

تركت اللفافة تسقط على الأرض، ودهستها، وبدأت فى الحديث.

- أتعرفين.. بلدكم هذا جميل، لكنه غريب.

ابتسمت وهى تمىء لى بالتأييد لرأيى.

أردفت:

- حقًّا.. أتعرفين لما نحن هنا؟

هنا تحدثت وهى تبعد عينيها عنى:

- نعم.. وأعرف ما هو أكثر؟

قالتها، وهمت بالانصراف، كأنما لم ترد أن تقول هذا، وانسحبت قبل أن تكمل. وتركتنى مبلبل الأفكار!

إذًا فى الأمر سر وأنا لم أعرفه بعد أو لم أكتشفه بعد.

نهضت واتجهت إلى غرفتى بعد أن رمقتها فوجدت صاحب الفندق يقف أمامها ويتحدثان، فلم أبغِ أن أتحدث وقتها، فقط رمقتنى كأنما تقول لى ليس الآن أرجوك، لذا أكملت طريقى إلى غرفتى حيث فرايزر، الذى جلس يشاهد التلفاز.

جلست على مقدمة الفراش، أفكر، فالتفت إلى وسألنى:

- هل استمتعت بالتسكع بمفردك أيها اللعين؟

هنا طرقت لى فكرة، لماذا لا أصارح ذلك الرجل ربما يساعدنى.

- فرايزر؟

قلتها فالتفت إلى دون أن ينهض، فأكملت:

- أريد أن أتحدث معك بصدد شىء ما..

التفت إلى بجسده كاملًا، وبدأ الأمر يثير شغفه وبدأت أكمل:

- أنت تعرف أننى لا أقتنع بموضوع الفارس هذا.

- نعم أعرف.

قالها مقاطعًا فأضفت:

- أولًا لم يشاهد الفارس حتى الآن أحدًا فينا.. فكل من شاهدوه قد ماتوا.. أو بالأحرى قتلوا. أليس كذلك؟

- بلى.

- هذا شىء.. الشىء الآخر هو تلك الفتاة التى فى اللوبى.

- ماذا؟

- تلك الفتاة قالت لى أنها تعرف كل شىء.. وتعرف لما أتينا.. وقالت إنها تعرف أكثر من هذا.

قلت ما قلت، ثم أضفت:

- إن فى الأمر سر يا فرايزر صدقنى.

فكر هو قليلًا بعد أن شرد برهة، ثم أضاف:

- إذًا، لنهبط الدرج ونذهب إلى حيث هى ونسألها.

- أمجنون أنت؟ كيف؟

- لماذا تنعتنى بالجنون؟ ننزل ونسألها، فربما كانت فى مأزق وتريد المساعدة.

« عنده كل الحق، لكن ماذا لو تسببنا فى مأزق لها؟ »

كأنما علم ما يدور فى خلدى فأضاف:

- إذًا اذهب وحدك.. اسألها وسأنتظر أنا هنا.

- فكرة جيدة سوف أفعل،لكن ليس الآن. فأنا أريد أن أنام.

قلتها وأنا أبدل ثيابى، ونمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى منتصف الليل تمامًا نهضت على صوت صهيل الخيل، دقيقة أو دقيقتين حتى علمت أين أنا، وكيف أتيت الى مكانى هذا، ثم نهضت مغادرًا الفراش متجهًا إلى النافذة التى كانت مفتوحة عن آخرها والستائر أخذت تتموج بفعل الرياح الشديدة، نظرت خلالها، على الرغم من الجو شديد البرودة والأمطار التى لم تبال بالبنى آدميين الذين يعيشون فى أسكتلندا إلا أن هذا هو الجو الذى أعشقه بالفعل حتى الفندق ذاته الذى نزلت فيه يقع على بضع خطوات من قلعة أدنبرة وحدائق شارع ويست برينسيز الخلابة.

شرعت أغلق زجاج النافذة، نظرت إلى فراش فرايز فلم أجده، متى غادره هذا اللعين، حين سمعت تلك الصرخة الشنيعة التى تفزع الموتى الذين يرقدون فى توابيت مقابر أدنبرة، ثم سمعت حوافر فرس تدق الأرض دقًّا، تشتت تركيزى ما بين النظر لمشاهدة الفرس الذى سمعت صوت حوافره وبين الهبوط لمعرفة مصدر الصرخة، لكنى وبنظرة خاطفة أو كما يقال بالبقعة العمياء فى عينى لمحت ظلال الفرس وهو يغادر المكان متجهًا نحو التلال المتشحة بستائر الليل.

هرعت بمنامتى إلى أسفل حيث البهو الرئيسى أو اللوبى، وكان الهول ذاته..

حقيقة كان المشهد لا ينسى، كان الجميع حتى فرايزر، والبروفيسور، يقفون يحدقون فى المشهد الذى لم ينسَ أبدًا.كانت الفتاة كوديا غارقة فى دمائها على الأرض وسط اللوبى ووسط حشد لا بأس به من جروبنا، ومن النزلاء والفضوليين.

أما صاحب الفندق فكان فى حال يرثى لها تمامًا، فقد جثا على الارض وأخذ ينتحب.. ويمسك بيد الفتاة، ويقبلها.

صاح البروفيسور فى غباء:

- لقد ماتت الفتاة.

فتبعه ردٌّ أغبى من فرايزر:

- نعم لقد ماتت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سوف نعرف أكثر

حكاية من تحبنى

ماليت هالبروج

بعد الحادث مباشرة..

خـرجت وحـدى لأفكـر.. جلست فـى أحـد الكافيهـات التـى تعـج بهـا تلك البلد، أرتب أفكارى جيدًا..

ثلاثة من القتلى حتى الآن..

أحدهم وهى الأهم بالنسبة لى، هذا ليس لأن لى صلة بها أو لأننى معجب لاسمح الله.. هى القتيلة الأخيرة والتى تدعى كوديا.

هذه الفتاة قابلتنى وأخبرتنى أنها تعرف شيئًا..

كنت أحدث بها نفسى حين وجدت من يربت على كتفى بحنو!

التفت لأجد تلك الرائعة ماليت هالبرج!

ابتسمت، ونهضت مــرة واحــدة، وتلعثمـت.. لـمـاذا جـئت وكيــف جئت؟!.

ابتسمت فى خجل وتلعثمت بدورها، وهمت بالرحيل، فأمسكتها من يديها ودعوتها للجلوس بعد أن اعتذرت لها عما بدر منى وقلته لها فى عدم قصد.

فقالت هى وهى تجلس على مقعد أنيق أمامى على المنضدة:

- لقد خمنت أن تكون هنا.. فميولك هى ذات الميول.

ابتسمت مرة أخرى، وأضفت:

- هذا يسعدنى كثيرًا ماليت. لكن؟

- ماذا هناك؟

- سوف أعود غدًا الى مصر.

- لماذا؟

قالتها فى غرابة، وعدم فهم، وأردفت متسائلة:

- أنت خائف؟

قالتها فنظرت لها، وأضفت:

- بالطبع خائف أنت ألست خائفة؟!

- أنا أنثى يجب على أن أخاف.

- الموت لايفرق بين الرجال والنساء.

قلتها ثم أضفت:

- أنا لست خائفًا من أسطورة الفارس هذه، فأنا لا أصدقها بالمرة، لكن ربما أخشى أن يتم توريطى فى شىء ما، أو ربما يأتى الدور على وأموت. فالسفاح الذى يقتل يصطاد فريقنا واحدًا يلو الآخر.

- سفاح؟! ألا تقول أنه؟

- ماليت. الأموات لاينهضون.

- لكن.

- لايوجد لكن. هذا رأى الدين والعلم. وإن كان للعلم رأى آخر، فأنا لن أعترف به.

- أهذا كل شىء؟

- ألا يكفى هذا؟. مليت أنا لا أنكر إعجابى بك « احمرت خدودها خجلًا ووارت عيناها منى » لكن هذا لن يكف. خاصة فى ظروف كهذه.

قلتها فأضافت وهى تربت على ظهر يدى فى حنان:

- لنترك ذلك الآن، ولتخبرنى فى ماذا كنت تفكر؟

نظرت إليها وابتسمت. وبدأت اتحدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اجلس مع فرايزر فى غرفتنا بالفندق.

- فرايزر لن أموت هنا.

هكذا قلتها لفرايزر الذى هز رأسه بغباء ولم يجب.. ففهمت أنه يعلم أن أعصابى لم تعد تتحمل، فعاودت الكلام:

- أنا أريد الرحيل، لن أنتظر فصل رأسى عن جسدى، لن أموت هنا.

- والبروفسير؟

- ليحترق حيًّا.

قلتها له بعصبية، ففهم على الفور أن مزاجى لايصلح للنقاش. صحيح أننى هادئ بطبعى، لكن ما حدث لى وما سمعته فى يومين جعل أعصابى متوترة إلى أقصى درجة.

- غدًا سوف أعود إلى بلدى.

- أنت مجنون.. هل بتلك السهولة تترك الفريق؟ وتستغنى عن الجولة؟ بعد أن حجزنا لك وأنفقنا الكثير عليك؟

- صه يارجل وإلا أسمعتك مايسوءك. أنت تعيرنى الآن ونقودكم سوف أرسلها لكم عند عودتى!

قلتها بعصبية، ثم انصرفت من أمامه، بعد أن أخذت حقيبتى وغادرت الحجرة، وهبط الدرج.

جلست لدقائق فى اللوبى أستجمع شتات أعصابى وألهث من فرط العصبية.

ثم نهضت حاملًا حقيبتى، وغادرت الفندق، أوقفت سيارة أجرة، وأخبرت السائق عن وجهتى.

« كافيه نرونى »!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقف السائق وترجلت الى حيث الكافية وماليت التى جلست لتنتظرنى ملثمة بحجاب يوارى وجهها بالكامل حتى لايتعرف عليها أحد

- أنت تعرفين ماعليك فعله؟

قلتها لها فأومأت برأسها أن نعم، ابتسمت لها، وانصرفت

أسير فى الطريق فى تؤدة، لكن لا شىء!!!

نصف ساعة تقريبًا مرت ولم يحدث شىء!!!!!

لا بد أننى مخطئ.

ما خمنته قد ذهب أدراج الرياح!، لكن انتظروا هل تسمعون صوت الصهيل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخاتمة أخيرًا

انطلقت أعدوا على الطريق وبدأ صوت قدم الفرس تطرق الأرض خلفى فى سرعة.

تركت الحقيبة، وزدت من سرعتى صحيح أننى بدين قليلًا، لكن « العمر مش بعزقة ».

ثم توقفت دفعة واحدة والتفت إلى الفارس وحصانه.

الظلام يغلف المكان. وجهه يداريه بقناع رخيص نوعًا.

- من أنت؟

قلتها له والحق يقال كنت أرتعد، لكننى تحاملت.

- .....

لارد!

- لماذا قتلتهم أيها الحمار؟

بالطبع لم أجد « شتيمة » غير تلك فى قاموسى فأنا مهذب كما تعرفون عنى.

- .....

لارد!

وضعت يدى فى جيوبى، وأخرجت مسدسًا، وأنا أضحك كالأبله، وأضيف:

- نعم أنا أحمل سلاحًا أيها الغبى.. من ماتوا من قبل لم يحمل أحدهم سلاحًا غير أن أحدهم كان مخمورًا وقواه قد ذهب بها الخمر. اما الاخرين فكانتا سيدتين. أما أنا.

قاطعنى هو بأن أخرج سلاحًا يشبه المسدس لكنه كبير الحجم، وربما كانت رصاصته كطول كف اليد. نظرت إلى مايحمله وما أحمله أنا، وابتلعت ريقى، وهرولت لأختبئ خلف إحدى السيارات، وأنا أفكر.

سوف أموت حتمًا الآن. سوف يفجر رأسى، وينتهى نسل عائلة فتحى الى الأبد.

هنا سمعت صوت ماليت، وهى تصرخ من خلف الفارس،أن اهبط وسوف أبرحك ضربًا، وتمسك بيدها صاعقًا كهربيًّا! يالها من مخبولة لقد طلبت منها

إبلاغ الشرطة، ليس إحضار سكين.

هبط الفارس مغادرًا حصانه وكأن كرامته قد جرحت، وتوجه إليها وهو يزمجر.

أما عنى فخرجت من خلف السيارة وتوجهت إليه بدورى وأنا أشهر السلاح إلى الأمام، وأصرخ بدورى كى يتركها ويتوجه إلىَّ أنا بدلًا منها، لكنه كان عالمًا ما الذى يفعله جيدًا واستمر فى السير ناحيتها.

وضعت أصبعى على زناد السلاح وحاولت أن أضغط إلا أن شيئًا ثقيلًا هوى على رأسى ففقدت الوعى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أفقت لأجد نفسى مقيدًا فى غرفة ما غير نظيفة وإلى جوارى ما ليت مقيدة بذات الكيفية، لكنها لازالت فاقدة للوعى، لم تمت بعد، فصدرها يعلو ويهبط أى أنها تتنفس.

رأسى لازالت تؤلمنى، دقائق قليلة ودلف إلى الغرفة أحدهم.

ألاترون ما أرى؟!

إنه فرايزر!!

كما خمنت أنه هو.

- لِمَ؟!!!!

قلتها بتؤدة ولازالت رأسى تؤلمنى، فنظر إلىَّ وأضاف مجيبًا عن سؤالى:

- أنت تعلم لِمَ يا إبراهيم. تعلم لِمَ. ومع ذلك سأجيبك.

قالها ثم جلس على مقعد أمامى، وهو يمسك سكينًا ويقلبه بين راحتيه:

- لابد أن يصدق الجميع أن الفارس موجود، لابد أن يحيا الجميع على أسطورته، إنه موجود.

نظرت إلى فرايزر وأضفت فى نفسى:

هذا الرجل لابد أنه قرأ الرائعة القصصية « دون كيخوتى دى لا مانتشا » للأديب الإسبانى ميغيل دى ثيربانتس سابيدرا ([1])هذا واضح.

صرخ فى وجهى، كى يقطع تفكيرى، ثم أضاف وهذا ماكنا سنفعله فى أى بلد نذهبها سوف نثبت الأساطير سوف نجعل الجميع يؤمن بالأبحاث التى نعدها.

- تعدونها؟!

- نعم.

- إذًا أنت لست وحدك؟!

قلتها وأنا أتذكر أن بكل تأكيد هنالك أحدًا آخر وإلا فمن ضربنى على رأسى؟!.

نظر إلىَّ فعلم ما يدور بخلدى، فابتسم، وأضاف:

- سوف أتركك تفكر حتى تموت.

قالها ثم نظر إلى ماليت وأضاف:

- تحبك. لقد عرضت نفسها إلى الخطر لأجلك.

- .....

لم أرد، فقط أضفت متسائلًا:

- ما الذى تنوى فعله الآن يافرايزر. اتركنا ولن نخبر أحدًا وسنغادر تلك البلاد إلى الأبد.

قهقه طويلًا، ثم تجشأ كالخرتيت، وأضاف:

- أنت مجنون يا إبراهيم. كيف أتركك وقد علمت سرى الصغير؟!

- قلت لك أنى لن أخبر أحدًا.

هنا نهض حاملًا السكين وتوجه إلى ماليت، وقربها من عنقها وأضاف:

- بالطبع لن تخبرا أحدًا.

هنا سمعنا طرقات شديدة على الباب، فترك فرايزر ما كان ينوى فعله، وتوجه ناحية الباب حاملًا مسدسًا.

- من؟

قالها وهو يقبض بيديه جيدًا على سلاحه، فأجابه الطارق:

- سكوتلانديارد.

« إنها الشرطة. شرطة إسكتلندا. قد أتوا أخيرًا، كيف عرفوا؟ ومن أبلغهم؟ »

توجه فرايزر إلى ماليت، وصفعها عدة مرات كى تفيق وتنهض، فنهضت غير عالمة ما الذى يدور حولها أو أين هى، مترنحة وقابض هو بذراعه على رقبتها ليقيدها، ثم صرخ فى الشرطة من خلف الباب:

- لدىَّ هنا أبرياء. سوف أقتلهم إن لم تغادروا الآن.

جاء صوت أحدهم من الخارج أن اهدأ أولَا لنتحدث، ثم أمروه بأن يفتح الباب، لكنه رفض تمامًا.

بالطبع أنا كنت من المشاهدين.. كالذى يجلس على مقعد فى أول الصف ليشاهد عرضًا مسرحيًّا. لا ألوى على شىء.

عندما جاء دورى تحدثت إلى فرايزر أن ما تفعله لن يجدى فهؤلاء يعلمون مايفعلون، فسبنى سبة أخرستنى، وجلست أشاهد مرة أخرى.

صرخت ماليت مرة مرتين ثم خرست لأنها علمت ان الصراخ لم يجد.

دقائق ووجدت أحد رجال الشرطة يتسلل ليدخل من النافذة ومعه صديقه، وأشاروا إلىَّ ألا أتحدث أو أن ألفت انتباه فرايزر إليهم، فأومأت لهم برأسى فى تفهُّم.

وفى لحظة ما كانوا قد دلفوا إلى الحجرة ووجهوا أسلحتهم إلى فرايزر، الذى ابتسم ثم دخل فى هيستريا من الضحك، وترك ماليت، ثم أمسك بسلاحه، ووجهه إلى رأسه مباشرة وصوب، وتفجرت رأسه وصارت أشلاءً. وسط صراخ ماليت، التى احتضنتى بشدة وأنا مقيد وأخذت تصرخ وترتعد.

وظللت أنا فى مكانى مبهورًا بما حدث ومشلولًا كذلك.

تقدم شرطى من الباب ليفتح لزملائه، وتقدم آخر من الجثمان الذى سقط.ليفحصه عن قرب. ثم أعطى أمرًا ما لأصدقائه.

هنا دلف الحشد إلى الشقة ومعهم تلك الفتاة الشقراء بيلت أبوود.

إذًا هى من أخبرت الشرطة، نظرت لها فى عدم فهم، فأضافت مشيرة إلى ما ليت:

- هى التى طلبت منى ذلك.

نظرت إلى ماليت، التى أضافت مفسرة:

- كى لا أتركك وحدك.

قالتها وغاصت بين ضلوعى، فارحت ذقنى على رأسها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى الثامنة صباحًا كنت فى مطار أدنبره، أنتظر طائرتى، على الرغم مما حدث فلم أفقد رأسى أو رأس ماليت، التى أخذت تبكى وهى تقف معى فى المطار كى تودعنى، وهى تضيف:

- سوف تزورنى فى بلدى؟

نظرت إليها وأضفت وأنا أبتسم:

- إن شاء الله. فقط احذرى. معك هاتفى. معك البريد الإلكترونى كذلك، لا تنسينى.

قلتها فزاد بكاؤها، صافحتها، وقبلت مقدمة رأسها فى تأدب، ثم انصرفت إلى حيث الطائرة.

كانت رحلة حافلة، لكننى الآن بحاجة إلى النوم والاسترخاء، لذا أرجعت المقعد إلى الخلف وأرحت ظهرى ورأسى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النبذة الخلفية:

على ضوء الشموع جلست فى غرفتها، واضعة رأس حبيبها على المنضدة مغمضة العينين يكسوها الوحل!

لقد أوصاها أن ترسمه بدمائها ليبقى، لذا تدس فرشاتها فى كأس ممتلئة بالدماء، تضبط لوحة فارغة على ماسك من الخشب، وتبدأ فى تنفيذ وصيته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

مقدمة..
تمهيد..
الومضة الأولى
1
الومضة الثانية
2
الومضة الثالثة
3
الفصل الأول
الفصل الثانى
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل السابع
الفصل الثامن
الخاتمة أخيرًا
النبذة الخلفية:

Notes

[←1]

(1) تدور أحداث الرواية حول شخصية ألونسو كيخانو، رجل نبيل قارب الخمسين من العمر يقيم فى قرية فى إقليم لامانتشا، وكان مولعًا بقراءة كتب الفروسية والشهامة بشكل كبير. وكان بدوره يصدق كل كلمة من هذه الكتب على الرغم من أحداثها غير الواقعية على الإطلاق. فقد ألونسو عقله من قلة النوم والطعام وكثرة القراءة ويقرر أن يترك منزله وعاداته وتقاليده ويشد الرحال كفارس شهم يبحث عن مغامرة تنتظره، بسبب تأثره بقراءة كتب الفرسان الجوالين، وأخذ يتجول عبر البلاد حاملًا درعًا قديمة ومرتديًا خوذة بالية مع حصانه الضعيف روسينانتى حتى أصبح يحمل لقب دون كيخوتى دى لا مانتشا، ووُصف بفارس الظل الحزين. وبمساعدة خياله الفياض كان يحول كل العالم الحقيقى المحيط به، فهو يغير طريقته فى الحديث ويتبنى عبارات قديمة بما كان يتناسب مع عصر الفرسان.